المقتطف

الجزء السادس من المجلد التاسع والعشرين

١ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٤ — الموافق ١٦ ربيع الاول سنة ١٣٢٢

هذه الحرب ورجالها

قضى الماليون في اوروبا واميركا لبانتهم من اليابان فدانوها المال براً فاحش وارتهنوا جمار كها خالفت وصية سبنسر ونسيت ما تعلمتهُ من مصر وستجني من ذلك العلقم ولو كان رجالها احكم من النمل واشد بأساً من الحديد . ولقد قصَّ علينا الخيال الرواية التالية قال :

دخلت غرفة فاخرة الاثاث والرياش في قصر من قصور لندن ام المدائن فرأيت فيها ثلاثة رجال جلوساً حول مائدة وامام احدهم آلة التلغراف يخاطب بها الماليين في اميركا وامام آخر آلة التلفون يخاطب الماليين في باريس وفينّا وبرلين ودار بين الثلاثة الحديث التالي

الاول — ان دخل الجمارك في اليابان مليون وستمئة الف جنيه حسب تقدير الميزانية هذه السنة وهو ليس مرهوناً فيصلح ان يكون رهناً لعشرة ملايين جنيه بل لعشرين مليوناً ولذلك لا ارى بأساً في اقراضها المبلغ المطلوب

الثاني — وهل قبلت ان تدفع ستة في المئة

الاول — المرجح انها تقبل اذا اصررنا على ذلك وقد بذل سفيرها جهدهُ ليجعل الربا خمسة فقط فابنت لهُ ان ذلك ضرب من المحال في الاحوال الحاضرة

الثاني — وبكم يصدر القرض

الاول — اراد السفير ان نصدرهُ بسبعة وتسعين ونزل الى خمسة وتسعين فابيت وعرضت اصدارهُ بتسعين واخيرًا اتفقنا على اصدارهِ بثلاثة وتسعين اذا وافقتموني على ذلك فيصير الربا نحو ستة ونصف في المئة

فضحك الثاني وقال بارك الله في الحروب لولاها ما كان يمكن ان تصح النبوءة القائلة اننا نرجع بثروة الامم

الثالث — ولكن كتب اليَّ عميلي من بطرس برج ان الروس لا يمكن ان يرجعوا بالفشل ولا بدَّ لهم من قهر اليابان واذلالها مهما اقتضت هذهِ الحرب من الرجال والمال

الاول - قد يكون ذلك وقد لا يكون ولكن هَبْ ان روسيا امتلكت اليابان وهو امر بعيد الوقوع جدًّا فان حقوقنا على الجمارك تبقى محفوظة لا تمس

الثالث — الى كم تحتاج اليابان بعد ذلك يا ترى

الاول — اليابانيون على غاية الاقتصاد في ما ينفقونهُ من بلادهم . ولا يضطرون ان ينفقوا كثيرًا الاَّ على ما يبتاعونهُ من اوربا واميركا كالبوارج والمدافع ولكن لا يبعد ان يحتاجوا الى عشرين مليونًا اخرى قبل انتهاء الحرب وهب انهم احتاجوا اليها فعندهم مكوس الاشربة الروحية تبلغ في السنة ستة ملايين وستمئة الف جنيه وقد تقلُّ كثيرًا بعد الحرب ولكن يبقى منها ما يزيد على ربا الدين ولو بلغ اربعين مليونًا من الجنيهات وليس عليهم الآن دين اجنبي سوى عشرة ملايين من الجنيهات ورباها اربعة في المئة فقط

الثالث -- وقعت في ما كانت تحذر الوقوع فيهِ ولا ادري لمن الفضل الاكبر في ذلك

الاول — الارتهان يجرُّ الى المراقبة والمراقبة لا تضرُّها وقد تنفعها كما نفعت غيرها . هذه مصر نجحت تحت المراقبة نجاحًا لم يحلم بهِ اهلها ولا حلمنا بهِ نحن

الثاني — ولكن شتان بين مصر واليابان ومع ذلك فنحن لا يهمنا من امر الامم الاَّ ان تكون اموالنا مضمونة وان يُدفَع رباها في مواعيدهِ فان صحَّ ما قلتَ عن دخل جماركها فلا ارى مانعاً من اقراضها عشرة ملايين من الجنيهات بستة في المئة

واتفق الثلاثة على رأي واحد وخاطب صاحب التلغراف شركاءهم في نيويورك وصاحب التلفون شركاءهم في باريس وڤينا وبرلين . وفي اقل من ساعة جاء منهم الجواب بالايجاب وأُمضي الامر وكتب الكاتب قرارهم وسار بهِ الى سفير اليابان

على هذه الصورة او ما يماثلها اقرض الماليون ممالك الارض خمسة آلاف وخمس مئة مليون من الجنيهات وجلسوا في بيوتهم يتقاضون رباها مئتين وعشرين مليونًا كل سنة يبنون بها القصور الباذخة واليخوت الفاخرة ويتنعمون باطايب الحياة والف مليون من بني آدم يكدحون نهارًا وليلاً لكي يوفوا ربا هذا الدين هذه هي السياسة المالية التي خضعت لها الممالك في هذا العصر. يقيم المرابي في هذه العاصمة ويرسل عملاءهُ الى بلد من بلدان الفلاحين يحسِّن لاهلها الدين منهُ ويغريهم بهِ بكل واسطة ثم يرتهن املاكهم ضمانًا لربا دينهِ فيشاطرهم جنى يدهم وارضهم ويعيش متنعماً كذلك يفعل ارباب الاموال بالممالك. وسيفعلون بالروس كما فعلوا باليابان

فيدينونهم كل ما يستطيعون ان يوفوا رباهُ فان الروسي يدفع الان من ربا دين حكومتهِ ٢٢ غرشاً في السنة والايطالي يدفع نحو ٧٠ غرشاً والمصري نحو اربعين غرشاً والسربي نحو ثلاثين غرشاً فيحتمل ان يزيد دين روسيا مئتي مليون جنيه او ثلثمئة مليون ولا يكون اثقل من دين حكومة مصر على اهاليها فان لم تستدن منهم المال لما يزيّن لها من انشاء سكك الحديد استدانتهُ لهذه الحرب وامثالها

وقد بسم الدهر في الشهر الماضي للروس كما بسم في الذي قبلهُ لليابان لكي تكون الحرب سجالاً كأنهُ طوع امر الماليين فبسم لليابان حتى يتيسر لهم اصدار القرض الياباني . وهو يبسم الآن للروس حتى يتيسر لهم اصدار القرض الروسي . اصدروا القرض الياباني المئة الجنيه بثلاثة وتسعين جنيهاً اي اخذوا منها سنداً بمئة جنيه عن كل ثلاثة وتسعين جنيهاً دفعوها اليها ثم باعوهُ للجمهور بستة وتسعين جنيهاً او نحوها فربحوا ثلاثة جنيهات . وبعد مدة يوقعون المشا كل ويختلقون العراقيل فتهبط قيمة هذه السندات وتبلغ ثمانين او سبعين او اقل فيبتاعونها ثانية ويحفظونها في خزائنهم ويأْخذون رباها المقرر ستة في المئة فيكون ثمانية او تسعة في المئة بالنسبة الى الثمن الذي دفعوهُ. وهذا شأْنهم في كل معاملاتهم المالية يوجدون السبب الموجب لاستدانة المال اذا لم يوجد من نفسهِ ويبيعون سنداتهِ باغلى ثمن ثم يوجدون سبباً لرخصها فيبتاعونها ثانية ويبذلون جهدهم في منع المستدين من ايفائها

***

اطلعنا على مقالة مسهبة لكاتب ضلعهُ مع الروس وهو المستر هنري نورمن احد اعضاء مجلس النواب الانكليزي اورد فيها اموراً لا تبعد ان تكون حقائق مقررة فاقتطفنا منها ما يلي كما اقتطفنا قبلاً اموراً اخرى من كتاب ضلعهم مع اليابان

قال انهُ لما حلَّ ما حل بالاميرال ماكاروف اضطربت روسيا كلها واخذتها الرعدة كما اضطربت انكلترا في بداءة حربها مع البوير ولكنها نهضت حالاً كما نهضت انكلترا وصممت على متابعة الحرب الى نهايتها مهما بذلت من الرجال والمال

وهذا امر لا بدَّ منهُ ولا غنى عنهُ وهو لا يخفى على اهالي انكلترا واميركا. ولقد اخطأَت اليابان لانها لم تقدرهُ من اول الامر. اما روسيا فخطأُها الاكبر انها انفقت اموالها على اصلاح منشوريا بدلاً من ان تنفقها على تعزيز ثغورها وانشاء الحصون المنيعة فيها فلو انفقت الاموال التي انفقتها على بناء دلني وخربين في انشاء الحصون والبوارج لما تجاسرت اليابان على منازلتها. فقد اخطأَت روسيا كما اخطأَت اليابان ولكنهما اخطأَتا في جهتين مختلفين الاولى لم تتأَهب

لهذه الحرب والثانية لم تحسب ان خصيمتها لايمكن ان ترجع عنها مقهورة وتبقى في مصاف الدول

ولا بد لروسيا من ان تبذل كل مرتخص وغالٍ لكي لا تخرج من هذهِ الحرب بالفشل ولو اضطرت ان تسفك كل نقطة من دمها وتنفق كل درهم في خزائنها وخزائن شعبها وتضرم نيران الفتنة في اوربا كلها ولذلك فغرق ماكاروف وسقوط بورت ارثر واندحار الجنود الروسية على نهر يالو وفي نيوشوانج لا يعدُّ شيئًا بالنسبة الى روسيا لانها تجمع جنودها في مكدن ثم في خربين ثم في بيكال وتحارب اليابان سنة وسنتين وثلاث سنوات وخمس سنوات اذا دعت الحال الى ذلك وتضرم نار الحرب في بلاد فارس وافغانستان والبلقان وتخرج من هذهِ المعارك اما ظافرة واما خائرة القوى غير مثلومة العرض ولكن رضاها بالهزيمة من وجه اليابان موت ادبي لها

وقد يقال ان اليابانيين لم يدخلو غمار هذه الحرب على غرَّة لان رجالهم من احكم رجال السياسة بل قد قدَّروا من اول الامر انهم سيقهرون الروس في بورت ارثر ومنشوريا فيستخلصون منشوريا من يدهم ويردونها الى الصين ويكتفون بابقاء سيطرتهم على كوريا ويفتحون ابواب التجارة فيها وفي منشوريا للدول الاوربية اجمع وللولايات المتحدة معها فتجتمع الدول كما اجتمعت في مؤتمر براين وتقوم كلها في وجه روسيا وتضمن سلامة الصين كما ضمنت سلامة تركيا فتضطر روسيا الى الرضوخ لحكمها وتعود اليابان فتستعمر كوريا وتصير في مصاف الدول الاوربية

لكن اذا كانت اليابان قدّرت هذا التقدير قبل الحرب فيكون خطأُها فيهِ اشد من خطإِها الاول لان روسيا جاهرت في اول هذه الحرب انها لا تقبل وساطة الدول ولا تعرضهنَّ لها كما تعرَّضن لها في حربها مع تركيا. ثم ان اتفاق الدول على مثل ذلك ضرب من المحال لان الدول التي تستطيع التعرض هي انكلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة اما فرنسا فيستحيل ان تتعرض لروسيا بسوءٍ وهي حليفة لها واما المانيا فيبعد عن الظن جدًّا ان تفعل ذلك بل هي باذلة جهدها في التقرُّب من روسيا وابداء المودة لها ولا يبعد ان تنصرها في اول فرصة تعرض لها لان روسيا قادرة ان توفيها وتكيل لها الصاع صاعين عن كل معروف تفعلهُ معها

ويبقى انكلترا والولايات المتحدة فاذا اظهرتا العداء لروسيا فان روسيا تشهر الحرب حالاً على انكلترا في جهات الهند واسطول انكلترا واسطول اميركا لا يجديان نفعًا لانهُ لا يبقى لروسيا اسطول في بحار المشرق حتى ينازلاهُ واسطولها في اوربا يتحصن في كرنستت فلا يمكن الوصول اليهِ وتزحف روسيا بنصف مليون من جنودها على بلاد فارس وافغانستان ولا يطول المطال على الاميركيين حتى يتَّضح لهم ان فوز اليابان مضرٌّ بهم لانها اكبر مناظر لهم في

الصناعة والتجارة فيتنحّوا عنها

هذا اذا فازت اليابان فوزًا تامًّا وانتصرت نصرًا مبينًا ولكن هب انها لم تفز كما تنتظر وافرغت ما في وطابها من الجنود والنقود فان روسيا تعود فتزحف على منشوريا وكوريا وعلى جزائر اليابان نفسها ويكون اسطولها في البلطيك قد تم وتجهز فيمضي الى بحار المشرق وهو اقوى من اسطول اليابان من بعض الوجوه . واذا حدث ذلك تشرع الجرائد تطلب توسُّط الدول ولكن اي دولة تجيب هذا الطلب فان فرنسا لا تجيبهُ والمانيا احبُّ ما عليها ان ترى دولة اخرى يحملها الغرور على التعرض لما لا يعنيها . والولايات المتحدة تطلب التوسط كتابة ولكنها لا تقدم عليهِ فعلاً وتبقى انكلترا فاما ان تخوض غمار الحرب مع الروس في كل اسيا او تحجم عن اليابان في موقف الشدة

وافاض الكاتب في هذا الموضوع وخطّأَ حكومة بلادهِ في اتفاقها مع اليابان ثم قال ان الرأي العام في انكلترا متجه الآن الى مجاملة روسيا

واتبع ذلك بمقالة اخرى وصف فيها ما شاهده في خزائن روسيا من الاموال الوفيرة فانهُ زار خزائن بنك روسيا ورآها ملأى بسبائك الذهب وفي ارضها اكياس مملوءة بالنقود الذهبية في كل كيس منها ستة آلاف قطعة من الذهب قيمة القطعة منها خمسة روبلات. ويظهر من حساب البنك في اواخر شهر مارس الماضي انهُ كان فيهِ حينئذٍ ما يساوي ٦٢ مليونًا و٧٦٦ الف جنيه وذلك من المال الاحتياطي وفيهِ وفي فروعهِ عدا ذلك ما يساوي ٣٤ مليون جنيه نقودًا وللحكومة في بنوك اوربا نحو ١٤ مليون جنيه فجملة الذهب ١١٠ ملايين جنيه تستطيع الحكومة الروسية ان تنفق منها ٥١ مليون جنيه من غير حرج اي من غير ان تأخذ دينارًا من الذهب الاحتياطي الذي يحفظ في البنك ضمانًا لنقود الورق

وصوَّر بعض خزائن البنك صورًا فوتوغرافية فنقلنا صورةً منها كما ترى في الصفحة التالية

وكتب كاتب انكليزي آخر في مجلّة جديدة انهُ لا بدَّ لانكلترا من ان تشتبك في هذه الحرب لانهُ ان كان الفوز لروسيا صار لها النفوذ الاول واليد العليا في اسيا كلها وهذا لا ترضى بهِ انكلترا. وان كان الفوز لليابان فلا بدَّ لفرنسا او لالمانيا او لكلتيهما من الدخول في الحرب فتجر انكلترا اليها . والخوف الاكبر من المانيا لانهُ لا بدَّ لها من ان تبذل جهدها لتشبك الانكليز في هذه الحرب

وسئل ثلاثة من نخبة القواد الاميركيين عمَّا يكون من امر هذه الحرب فقال احدهم وهو الجنرال سيكلس المرجح عندي ان هذه الحرب لا تطول لان روسيا ستجد من المصاعب ما

لاتقوى عليهِ فتجنح الى الصلح اذا عُرِض عليها واليابان لا تكون اقل رغبةً منها فيهِ اذا تيسَّر لها اخراج روسيا من منشوريا كما اخرجتها من كوريا

وقال الجنرال ميلس يظهر لي ان هذه الحرب ستطول جدًّا وتكثر نفقاتها و تشتبك فيها بعض الدول الاوربية

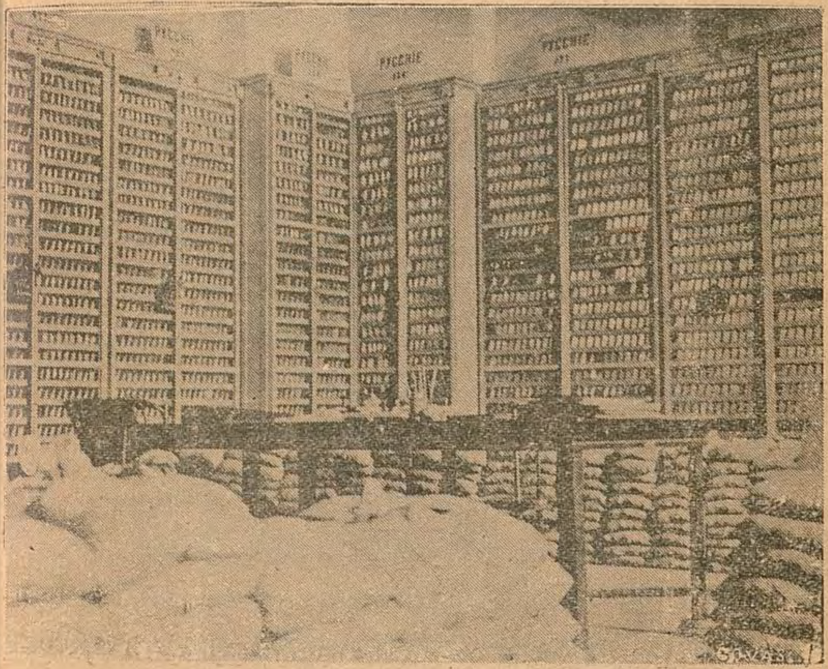

وقال الجنرال هويلر يظهر الآن ان اختيار دار الحرب وقع لروسيا لاَ لليابان وعندي ان هذه الحرب لاتطول الاَّ الى وسط الخريف المقبل حينما تزيد جنود الروس على جنود اليابان زيادة بالغة فتدحرها دحرًا

وقال الكاتب السياسي المشهور السر تشارلس دلك انهُ يحتمل ان المانيا تطلب من فرنسا ان تنضم اليها لتساعدا روسيا على اليابان كما ساعدتاها عليها بعد حرب الصين فتحجم فرنسا عن ذلك مخافة من انكلترا فتقوم المانيا وتنضم الى روسيا توًّا فتضطر انكلترا ان تنضم الى اليابان بحكم محالفتها معها وتضطر فرنسا حينئذٍ ان تنضم الى روسيا فتخرج اليابان من منشوريا لانها تجد لها لقمة ادسم في التنكين وتنشب الحرب في اوربا بين الاسطول الانكليزي من جهة

الاسطول الفرنسوي والالماني من جهة اخرى

والظاهر ان هذا رأي كثيرين من نخبة الكتّاب لكن رجال السياسة غير غافلين عن هذه الحوادث ورجال المال الذين في يدهم مقاليد الامور يصرفونها كيف شاؤوا فلا يحتمل ان تضام دولة ضيماً يعود عليهم بالخسران

الاميرال توجو

الجنرال كوربتكن

الاميرال الكسيف

الاميرال سكريدلوف

هذا من حيث الحرب اما رجالها المشهورون الآن فاشهرهم اربعة الاميرال توجو امير الاسطول الياباني امام بورت آرثر والجنرال كروبتكن قائد الجيوش الروسية العام والاميرال الكسيف حاكم منشوريا والاميرال سكريدلوف الذي خلف الاميرال ماكاروف في امارة الاسطول الروس في بحار المشرق وقد نشرنا صورهم هنا

التصوير والجمال

ندع الحرب واوزارها ونلتفت الى موضوع آخر نبهنا اليهِ قدوم مصور ماهر في حفر الصور الى هذهِ العاصمة وهو فن تصوير الاشخاص بحيث تكون الصورة منطبقة على الاصل تظهر فيها هيئة المصوَّر وملامحهُ وما يبدو في وجهه عادةً ممَّا يعرف بهِ ويمتاز على غيرهِ ولا سيما اذا كان جميل الطلعة . فان الصور الشمسية لا تفي بذلك غالباً لانها تخفي لون البشرة وتستر بعض الملامح التي يمتاز بها اصحابها حتى ان جميل المنظر يظهر فيها احياناً ولا لمحة جمال على وجههِ والذي لا يُعَدُّ جميلاً يظهر فيها وقد استجمع لهُ الجمال كلهُ

لا يعلم بالتحقيق اي امَّة سبقت غيرها الى فن التصوير لكن وُجد في المدافن المصرية صور كثيرة من عهد اليونان والرومان بعضها صور رجال وبعضها صور نساء والمصوَّرون في اعمار مختلفة اولاد وشبان وكهول وشيوخ ولهم هيآت وملامح مختلفة فلا يعقل الاَّ ان تلك الصور كانت تمثلهم حقيقةً . هذهِ هي اقدم صور الاشخاص الباقية الى الآن اما تماثيلهم فاقدم من ذلك كثيرًا . ولكن جاء في التاريخ ما يدلُّ صريحاً على ان تصوير الاشخاص كان اقدم من ذلك فقد جاء فيهِ ان بانينوس صوَّر معركة ماراثون التي قهر فيها اليونان جنود الفرس سنة ٤٩٠ قبل المسيح وكان فيها رسوم قواد الاثينيين وقواد البرابرة ولكن لا دليل على ان رسومها كانت منطبقة على الاصل لان المصوّر صورها بعد موت اصحابها ولعلهُ اكتفى برسم ملابسهم واسلحتهم كما كانت او كما يعهد فيها ورسم الوجوه كما يتصوَّرها اهل زمانهِ . ويقال ان المصور ميكون ساعدهُ في تصوير هذه الصورة وجعل قوَّاد البرابرة اكبر قامة من قوَّاد اليونان فغرّم ثلاثين منى اي نحو مئة جنيه فلو كانت الصور حقيقية ما حدث ذلك

واشهر مصوري القدماء ابلّس مصور الاسكندر المكدوني ويقال انهُ صور الاسكندر مرة صورة اعطاهُ عليها ما يزيد على خمسين الف جنيه . ويحكى عن هذا المصور انهُ كان يعرض صورهُ ويقف وراءها مختفياً ليسمع ما يقولهُ الناس في انتقادها فيصلحها واتفق انهُ عرض مرة صورة فمر بها اسكاف وانتقد شكل الحذاء ولما ذهب خرج ابلّس من مخبإِهِ واصلح الحذاء كما اشار الاسكاف . ثم مرَّ الاسكاف في اليوم التالي ورأى الحذاء مصلحاً فحملهُ الغرور على انتقاد شكل الساق فخرج اليهِ ابلس وقال لهُ " ابقَ في الحذاء " فذهبت مثلاً ويقال ايضاً ان الاسكندر زارهُ مرةً في بيتهِ واخذ يتكلم عن التصوير كلاماً يدل على

الاختان من تصوير المصوّر ريط

جهله لهذا الفن فانتهره ابلس وقال اصمت لاني اسمع الاولاد الذين يمزجون الادهان يضحكون عليك

وشاع تصوير الناس في زمن الجمهورية الرومانية حتى كان ابناء الاشراف يثبتون نسبهم بمشابهتهم لصور اسلافهم المحفوظة عندهم ولم يكن يسمح لاحد ان يتصور ما لم يكن من الاشراف او من الذين لهم شأن كبير بين قومهم كالمؤلفين ونحوهم. وكان المؤلفون يضعون صورهم في صدر كتبهم كما يفعل بعضهم الآن

ولقد كثر مصورو الاشخاص في هذا العصر ولكن المفلحين منهم قلال جدًّا . قال بعضهم ان اظهار معاني الوجه اهم ما في فن التصوير فان المعاني تدلُّ على اخلاق الانسان . فيجب ان يصوَّر او يمثَّل وهو في حالة السكينة غير منفعل بانفعال نفساني لان احسن صورة يتلفها اظهار امارة من الامارات التي تعرض للانسان في بعض الاحيان ولا تكون في وجههِ دوامًا ولاسيما اذا ادخلها المصور من تلقاء نفسهِ كأن يصور الفم باسمًا والعينان لا تدلاَّن على التبسم او يصور العينين في هيئة القلق او التفكير والجبين لا يدلُّ على ذلك . ثم ان ملامح الوجه تتوقف على لونهِ كما تتوقف على شكلهِ فاذا لم يحسن المصور وضعها ومحاكاة الطبيعة بها افسد الصورة وهو يحاول اصلاحها

وقال آخر ان حسن الصور يتوقَّف على المصوَّر كما يتوقف على المصوِّر فيجب على المصوَّر ان يجلس في حالتهِ الطبيعة غير متصنّع ولا متكلّف شيئًا

ويجب على مَن تصنع صورتهُ ان لا يلبس ثيابًا يتغيَّر زيها من وقت الى آخر لئلاَّ تستقبحها العين وتستقبح الصورة معها كالعمَّة والطربوش واشكال البرانيط والازياء الغريبة كالاكمام الواسعة التي كان النساء يلبسنها منذ عهد قريب والطراطير التي كنَّ يضعنها على رؤُوسهنَّ في اوائل القرن الماضي وبعض الازياء التي تتغير من عام الى آخر سواء كانت في لبس النساء او في لبس الرجال ولهذا يختار تصوير الرأس والعنق وشيء من الصدر مكشوفة كلها لان الوجه وحدهُ يكفي للدلالة على المرء ولا يزيد تعرفًا بالملابس والحلى . وكل ما يضاف الى الصورة ممَّا يتجه النظر اليهِ يحطُّ من قيمتها كصورة شخص اذ يصير المراد توجيه النظر الى ما فيها من شكل الملابس وانواع الحلى والنياشين . على هذا الاسلوب جرى المصور ربط الانكليزي الذي كان من انبغ مصوري القرن الثامن عشر في تصوير الاشخاص كما ترى في الصورة المقابلة وهي صورة اختين صورهما على اسلوب بسيط جدًّا اكسبهما جمالاً فوق جمالهما الفطري حتى يضرب المثل بجمال صورتهما

وقد اشتهر في هذا العصر مصور آخر للاشخاص وهو المستر الس روبرتس قلما تجد جميلة من جميلات الانكليز الأ وجلست لهُ فصورها صورة او اكثر على غاية البساطة والغالب انهُ يكتفي بتصوير الراس والعنق والنحر وشيء من الصدر واذا صوَّر الجسم كلهُ صوَّر وراءهُ اشجارًا وتلالاً كأن الشخص المصوَّر واقف في غاب او بستان والبس البدن لباسًا رومانيًا بسيطًا ولا يضع شيئًا على الراس الأ في الصور الخيالية فيختارهُ حينئذٍ مما يزيد بهِ جمال الوجه ظهورًا

ومما يمتاز بهِ هذا المصور انهُ يحدِث من يجلس لهُ للتنوير حديثًا فكاهيًا دائمًا ما دام جالسًا امامهُ حتى يصورهُ وهو على تمام الرضا والسرور. ولا يكون جمال الوجه على اتمهِ الأ حينما يشمل السرور النفس

وما يقال عن مهارة الذين يصورون الاشخاص بالزيت يقال عن مهارة الذين يصورونهم تصويرًا شمسيًا فان آلة التصوير كالمرآت ترسم المرئيَّات كما هي تمامًا من غير زيادة ولا نقصان الأ في اخفائها الالوان وجعلها كلها سوداء او بيضاء . لكن هيئة المصوَّر تختلف كثيرًا حسب بشاشة وجههِ او عبوستهِ حالما تؤْخذ صورتهُ وحسب الوضع الذي يجلس فيهِ امام آلة التصوير. والبراعة في ذلك ليست بالامر السهل فلا يشتهر المصوّر ما لم يعرف كيف يجلس زبائنهُ امامهُ وكيف يحكّم النور والظل عليهم وكيف يلتفت اليهم ويحادثهم حتى يكون في وجوههم من البشاشة والطلاقة او من العبوسة والصرامة ما هو غالب عليهم

ولبعض النساء جمال رائع برع مصورو الشمس في تصويرهِ حتى صار الناس يتهافتون على ابتياع صورهنَّ. وهنَّ يربحن من ذلك ربحًا طائلاً فمنهنَّ سيدة اسمها مسز لنجتري بيع ثمانمئة الف صورة فوتوغرافية من صورها باعها المصورون وباعة الصور واعطوها جانبًا من الربح فبلغ نصيبها منهُ عشرة آلاف جنيه. وسيدة اخرى اسمها ماري اندرصن يباع من صورها مئة الف صورة كل سنة. وفتاة اميركية بيع من صورها في ساعتين من الزمان ما بلغ ربحها منهُ الفي جنيه. وفي بلاد الانكليز الآن ست سيدات تربح كلٌّ منهنَّ من الف جنيه الى خمسين جنيهًا في السنة من بيع صورها ولا تباع صورة في اوربا كما تباع صورة ملكة الانكليز ولو لاق ان تتقاضي ربحًا من بيع صورها لبلغ ربحها من ذلك الوفًا كثيرة من الجنيهات

ويدخل في هذا الباب حفر الصور باليد او بالوسائل الميكانيكية او الكيماوية حتى تأتي منطبقة على الصور الزيتية او الشمسية وسنعود الى هذا الموضوع في جزء تالٍ

مدرسة محمد علي الصناعية

لا بدَّ من الصناعة لكل بلاد تريد مجاراة غيرها من البلدان الراقية مراقي الفلاح ولو كانت زراعية محضة كالقطر المصري . لكن ارتقاء الصناعة في البلاد حتى تصير صناعية تكسب من تصدير مصنوعاتها يقتضي ان تكون فيها مواد الصناعة الاصلية كالحديد والنحاس ومحركاتها كالفحم الحجري والمياه المنحدرة من اماكن عالية . فان لم تكن فيها تلك المواد والقوى لم تصر صناعية مهما اهتمت بتعليم الصناعة . وهذا لا يفيد نفي الصناعة منها بتاتاً لانها لا تستغني عنها مهما كان حالها ولذلك فقولنا ان القطر المصري قطر زراعي لا قطر صناعي يفيد انهُ يكتسب من اصدار حاصلاتهِ الزراعية كالقطن والفول والحنطة ولا يكتسب من اصدار الحديد المسبوك والآلات والادوات وسائر المصنوعات التي تناظرهُ فيها البلدان الصناعية . غير ان ذلك لا يعفيهِ من عمل بعض ما يحتاج اليهِ من المصنوعات التي يسهل عملها فيهِ واصلاح ما يؤْتى بهِ اليهِ مما يصنع في البلدان الصناعية . ومجال العمل في ذلك واسع جدًّا والربح منهُ وافر يكفي الالوف من ابناء هذا القطر ويغنيهِ عن كثير مما يؤْتي بهِ من البلدان الاخرى

ولسنا ممَّن يبالغ في فائدة الصناعة لبلاد مجال الكسب فيها من الزراعة اضعاف ما هو من الصناعة ولكننا لا نبخس الصناعة حقها ولا نستحسن اهمال البلاد لها لاسيما وانها مكملة للزراعة ولا غنى للبلاد عنها . وقد مضى الزمن الذي كان الشرقي يعدُّ الصناعة فيهِ عارًا وصغارًا ويترفع عن مخالطة صنَّاع بلادهِ ازدراءً واحتقارًا واصبح عقلاءُ الشرقيين يقدرون الصناعة قدرها علمًا منهم بفعلها في ترقية شؤُون الاوربيين وبفضلها في رفاهة عيش المتمدنين فلا يفرقون اليوم بين ابن الحائك وابن المالك . ولارتفاع قدر الصناعة عندهم ومطابقتها لمقتضى احوال هذا الزمان الذي حلَّت فيهِ الآلات الكهربائية والعدد البخارية ونحوها من الآلات المتقنة التي سخرت بها القوى الطبيعية محلَّ الآلات والادوات الساذجة القديمة واسست الصنائع المختلفة على المبادىء العلمية من طبيعية وكيماوية وميكانيكية لا على مجرَّد التجربة والاستقراء — اقبل كثيرون من ابناء المصريين على التعلم الصناعي في مدارس القطر الصناعية واولها واقدمها عهدًا مدرسة بولاق الصناعية التي اسسها محمد علي باشا كبير العائلة الخديوية لتعليم احداث المصريين الصنائع المختلفة مدة خمس سنوات متوالية فتخرَّج منها الف وتسعة وستون صانعًا في الخمس عشرة سنة الماضية وفيها الآن ٣٧١ طالبًا

ولا يكاد الانسان يذكر هذه المدرسة حتى يتذكر مدرسة المنصورة الصناعية لانهما

كلتاهما من انشاء الحكومة وكذا المدرسة الصناعية التي انشأتها الحكومة منذ عامين برئاسة جنسن باشا لتعليم الحدادة وخراطة المعادن والنجارة ولا سيما عمل المركبات وصناعة الصفيح وصناعة السروج والاصفان ونحوها مما يصنع من الجلد والدَّهن بالوان. وعن قريب تفرغ الحكومة من انشاء مدرسة صناعية مثل هذه في مدينة اسيوط ايضاً

فهذه المدارس الاميرية الاربع تدلُّ على رغبة الاهالي في تعلُّم الصناعة وهذه الرغبة تسرُّ محبي الوطن ولكنها لا تشفي غليلاً لانها موقوفة على عناية الحكومة لا على ميل حي نامٍ متأصل في قلوب الامة. ولا مشاحة في ان الحكومة المصرية من ارقى الهيئات لا في الشرق وحدهُ بل في الغرب ايضاً فلا يستعظم منها انشاء المدارس الصناعية ولا يستلزم اتقانها لها ان تكون الرعية نفسها قد تقدمت وارتقت الى درجة تناسب ذلك الاتقان بل لا بد للدلالة القطعية على تقدم التعليم الصناعي في هذا القطر ورغبة الاهالي في تعلم الصنائع ان يكون للامة نفسها يد في انشاء المدارس الصناعية مستقلة عن يد الحكومة فعلاً ولو كانت تستمدُّ منها الارشاد وتكتسب ثمار الاختبار في تنظيمها وادارتها وما شاكل ذلك

وهذا ما قد حصل فان الامة نفسها اظهرت ميلها الحي النامي الى تعلم الصنائع وترقية التعليم الصناعي بسعيها في انشاء المدارس الصناعية مستقلة عما كان من بابها من مدارس الحكومة ومدارس الاجانب المحبين الخير لهذه الامة. وهذه المدارس الصناعية الوطنية منها ما فتح كالمدرسة الصناعية التي انشأها محمود باشا سليمان في ابي تيج ومنها ما جمع المال لهُ ولم يفتح بعدُ وهو المدرسة الصناعية القبطية والمدرسة المقصودة بالكلام في هذه المقالة وهي مدرسة محمد علي الصناعية اهم مدارس الامة الصناعية شأْناً واسماها مكاناً لانها غير قائمة على مال الحكومة ولا على مال فرد من افراد المحسنين المعدودين بل على مال مجموع من جماهير المتبرعين من اهل القطر بحسن مساعي جمعية العروة الوثقى البهية لتعليم الصناعة لاكبر عنصر من العناصر التي تتركب منها الهيئة المصرية. فان المال الذي جاد بهِ المتبرعون لانشاء هذه المدرسة بلغ ١٢ الف جنيه ثم وقف لها المحسن الكبير منشاوي باشا مئة فدان يبلغ ريعها السنوي ما يقوم بجانب كبير من نفقاتها ولولا الصعوبة في وجود المحل الموافق لبنائها لبنيت وفتحت منذ زمان اما الآن فان الافاضل الذين عنوا بجمع الاموال لها وسعوا في تدبير امرها وتعجيل زمان انشائها احتفلوا بوضع الحجر الاول من اساسها في الاسكندرية في ٢٣ مايو احتفالاً عظيماً حضرهُ الجناب الخديوي وجمهور كبير من الكبراء والعظماء ولما انتظم الاحتفال تلا بعض من تلامذة المدارس التي انشأتها جمعية العروة الوثقى خطباً وجيزة تناسب المقام

من ذلك خطبة لتلميذ قال فيها

مولاي — ان معشر الاطفال من ابناء رعاياكم المخلصين تخفق قلوبهم في هذا اليوم فرحاً بانعطافكم السامي وانَّا وان كنا صغاراً لنعي ما في هذا الانعطاف من معانٍ كبار نعم انتم تودون لنا الرقي بالمعارف النافعة في الدين والدنيا وتسرون بنا ما كنا حيث تودون . ولسروركم بنا اكبر يوم تروننا رجالاً شغالين ترمي بانفسنا في مفاوز الحياة قائدنا العلم ورائدنا طلب الكسب الحلال يوم لا يكون تفاوت الدرجات بيننا بغنى الآباء وطنطنة الانساب والالقاب بل بالعلم والعمل يوم يفتخر مثلي بصنعة يحكمها فيقال هذا من عمل فلان لله دره لقد احسن واجاد هنالك يا مولاي تباهون بنا الامم وهنالك الفوز الصحيح لوطننا المحبوب وما هذا اليوم عنا ببعيد فها هي تباشيره بدت تختال بين بهاء المظاهر وهتاف الرعية بالدعاء لكم وفي هذه الساعة السعيدة تضعون بيدكم الكريمة اول حجر لاساس اول مدرسة صناعية بمدينة الاسكندرية فبوركت الساعة وبورك الحجر سيذكر التاريخ هذا اليوم وهذه المدرسة كما ذكر عصر جدكم الاكبر وما شيد من دور للصناعة والعلم يقول لنا اجدادنا كان لنا من المآثر والمفاخر كيت وكيت فسنقول لاولادنا نحن احيينا منها ما اندثر . يقول اجدادنا كان من عصرنا محمد على الكبير فسنقول لاولادنا ان لنا من عترتهِ عباس حلمي الثاني

وخطبة لتلميذة من تلامذة مدرسة الحمالين قالت فيها

مولاي — ان قيل ما لابنة حمال صعلوك ومخاطبة الملوك قلت هكذا اقتضت شيم مولاي الشماء اذ يبسط جناح الرحمة للمساكين والضعفاء ونحن معشر البنات اكثر فرحاً في هذا اليوم بعمل من شأنهُ تخفيف ويلات البطالة والكسل وهما شقاء العائلات وسبب كرب الامهات فبهذا الاحساس ننظر الى هذا الاساس وقد اودعناه الآمال سائلين الله حسن المآل ان يحفظ مولانا لامتهِ وبيتهُ لرعيتهِ

ثم تقدَّم دولتلو رياض باشا رئيس الاحتفال وقال مخاطباً الجناب الخديوي

مولاي — اتشرف بان اقدم لمقامكم السامي ما انتم اهل لهُ من واجب الشكر ومزيد الامتنان على ما تفضلتم بهِ من تشريفكم هذا الاحتفال تنشيطاً وتشجيعاً للعلوم والمعارف وعلى ما تكرمتم بهِ من المنح الجليلة وما بذلتموهُ من العناية والمساعدة الجزيلة في اظهار هذا المشروع من حيز الفكر والتصور الى عالم الوجود والعمل وهذا هو من مقتضى سجاياكم الكريمة التي جبلت على حب فعل الخير لاهالي البلاد التي قلدكم الحق سبحانهُ وتعالى مقاليدها

مولاي — هذا اليوم يوم عظيم يوم مبارك نحتفل فيهِ تحت حمايتكم ورعايتكم العلية بوضع

اول حجر لاساس مدرسة صناعية اهلية البلاد في اشد الاحتياج اليها وقد اطلق على هذه المدرسة تيمنًا اسم ذاك الرجل العظيم الذي لهُ المآثر الجليلة على هذه البلاد ألاَ وهو جدكم الاكبر محمد علي . هذا الاثر الذي هو من جلائل الاعمال التي ستعود بالمنافع العظيمة والفوائد العميمة على هذه البلاد مما تنشرح لهُ الصدور وترتاح اليهِ النفوس ويسر لهُ ويهتم بهِ كل غيور محب للخير والعلوم سيبقى ان شاء الله تعالى تمثالاً وتذكارًا حيًّا لاسمكم الشريف ومحاسن عهدكم المنيف على مدى الازمان والاحقاب

حق علينا ان نعرف ونعترف بقدر هؤُلاء الرجال الكرماء الذين تبرعوا وجادوا بالاموال وبالمثل هؤُلاء الرجال الفضلاء اعضاء جمعية العروة الوثقى ورئيسها المقدام الذين قاموا بهذه الاعمال المهمة في خدمة الامة وبانجاز هذا المشروع الجليل . نخص بالذكر ايضًا ما اتاهُ اعضاء هذهِ الجمعية من الاعمال المبرورة والمساعي المشكورة من نشر العلوم والتربية بين مواطنيهم وما احدثوهُ وشادوهُ في الثغر من المدارس والمكاتب العديدة المعدة لتربية الصبيان والبنات التي نراها قد نمت وزهت ونجحت نجاحًا تامًّا في زمن وجيز

هذا شاهد عدل بفضل كل من تكرم بالمال وكل من جاد بالاعمال فجزاهم الله عنا خيرًا واخص بالذكر ايضًا على الانفراد احد اعضاء هذه الجمعية وهو خليل بك حماده رجل الجد والنشاط بما هو قائم بهِ من اعباء جمعية الحمالين وما ادراك ما هي . جمعية صغيرة الاسم كبيرة المنافع بما احتوت عليهِ من المبرات والحسنات وما آوت من اولاد الفقراء والمساكين الذين التزمت تربيتهم واعانتهم وانتشالهم من وهدة الفقر وظلمة الجهل والشقاء الى طريق السعادة والهناء فحق لهُ على ذلك منا خالص الشكر . وفي هذا المقام ايضًا يجب علينا التشكر الى جناب شيتي بك مدير عموم الجمارك والثناء عليهِ بما شمل هذهِ الجمعية الخيرية من العناية والمساعدة حبًّا بالانسانية والمروءة والامل وطيد بان لا ينقطع عن هذا العمل المبرور

ولا يفوتنا ذكر الجميل الذي صدر من كرماء الاوروبيين المستوطنين بيننا وما تبرعوا بهِ من المال بسخاء وكرم وجادوا بهِ من الخدم مساعدة لجمعية العروة الوثقى ولانجاز هذا المشروع فنذكر لهم ذلك بلسان الشكر والامتنان ولا ننسى لهم هذه المنة على ممر الايام

ولا ننسى ايضًا ما كلف نفسهُ بهِ سعادة جونسون باشا من الاتعاب ابتغاء خدمة الانسانية والمدنية باشتراكهِ في الاعمال مع اعضاء الجمعية وارشادهِ لهم بما لهُ من سعة الاطلاع والاختبار حتى تقررت رسوم بناء هذا المحل وتقرر كل ما يلزم لهذا المشروع الذي كان لهُ فيهِ الحظ الاوفر فلهُ منا خالص الشكر على هذا الجميل

جناب اللورد كرومر اعتذر اليوم عن الحضور في هذا المحفل لتغيبهِ عن مصر . كلٌّ يعلم ما لهُ من المقام الارفع والنفوذ الشامل في هذه البلاد وبالاخص ما لهُ من اليد الطولى في كل ما لهُ مساس بالمصالح والمنافع العمومية فهذه اليد الفعالة قد شملتنا وهي التي كانت لنا معوانًا بل متممًا ومكملاً لهذا المشروع فحق علينا ان نعرف لهُ هذه المبرة ونقدم لجنابهِ واجب الشكر ونثني عليهِ اطيب الثناء ولا نبرح نترجاهُ بان لا يترك هذا المولود في مهدهِ صبيًّا بل يراعيهِ بعين عنايتهِ ويؤاسيهِ ويواليهِ الى ان يتربى ويبلغ اشدهُ ويصير رجلاً قويًّا يقوم باود نفسهِ

مولاي : اسمح لي بان اتكلم بما يخالج ضميري. اذا نظرنا وتاملنا الان الى ما جريات الاحوال وطبقنا ماضيها على حاضرها نجد ان الاحوال والافكار قد تغيرت تغيرًا كليًّا واتخذت لها مجرًى جديدًا نحو التقدم والترقي وبث العلوم والمعارف وانتشارها في كل بقعة من بقاع البلاد وكل ما نراهُ امام اعيننا من هذه المشروعات العلمية الادبية والمؤسسات الخيرية الاهلية يتلو بعضها بعضًا لا نشك ولا نرتاب بانها أثر من آثار هذا الانقلاب فلا حاجة بنا الآن ان ندخل في موضوع الشرح والتأويل ولا في البحث والتدقيق في علل الامور ومسبباتها بل نكتفي الآن بان ننظر بعين البصيرة والاعتبار الى ما كنا عليهِ بالامس وما نحن فيهِ اليوم ونهنيء انفسنا ونتهلل بشرًا ونسجد لله شكرًا على ما وصلنا اليهِ من التقدم الباهر مستبشرين بما تدلنا عليهِ قرائن الاحوال بمستقبل زاهر

ولا مشاحة ولا جدال ان الفضل في هذا كلهِ راجع الى كبار الامة وعظمائها وعلمائها وعقلائها الذين هم قادة افكارها فنرجو لهم من الله التوفيق وزيادة الالتئام والوفاق فيما بينهم حتى يثابروا ويستمروا على السير في هذا المجرى الجديد ويصرفوا كل قواهم في ازالة كل ما يحدث امامهُ ويعقبهُ من العقبات والموانع وبهذه الواسطة لا غير يمكننا ان نحفظ قوامنا في وسط معترك هذه الحياة الدنيا ونعيش بهناءٍ وسلام . وفي الختام نبتهل الى الحق سبحانهُ وتعالى ان يؤيد عرشكم السامي ويزيد في نفوذهِ ليكون لنا ظلاً ظليلاً انهُ سميع مجيب

فشكرهُ الجناب العالي وقال لهُ ما معناهُ انك لقد اعربت عمّا في فؤادي من السرور لهذا العمل المجيد ونطقت بلساني فيما سردتهُ من عبارات الشكر لمؤسسي جمعية العروة الوثقى ولحضرات رئيسها واعضائها ولحضرات الذين ساعدوا باموالهم وحسن مساعيهم لاحياء هذا العمل المجيد وقد زاد سروري ما رأيتهُ من جد الاسكندر يين وسعيهم في تشييد الاعمال النافعة وسبقهم في ذلك جميع مدن بلادي لان في الاسكندرية قد كان مولدي ويسرني

ان يكون السبق لسكانها في كل عمل خيري وكل مشروع مفيد كما انهُ يسرني ان اضع اول حجر في اساس اول مدرسة صناعية تشاد في الاسكندرية وستحيي اجمل اثر من آثار جد العائلة الخديوية فلنتقدم بسرور وافتخار لنضع هذا الحجر

ثم تقدم الى حيث يوضع الحجر في الاساس وتبعهُ البرنس عمر باشا طوسن ورياض باشا ونخري باشا ناظر الاشغال العمومية وصدقي باشا محافظ الاسكندرية ومحمد بك سعيد رئيس جمعية العروة الوثقى ووقعوا محضر الاحتفال ووضعت اشكال النقود المصرية والجرائد اليومية في صندوق صغير وضع في الاساس ووضع الجناب الخديوي الطين للحجر وأُنزل الى مكانهِ بآلة كانت ترفعهُ وتم الاحتفال

ولا شبهة في ان انشاء هذه المدرسة من فواتح التعاون على انشاء المدارس الصناعية فلهُ شان كبير من هذا القبيل لكن انشاءها لم يقترن باظهار الهمة العالية والغيرة القومية التي يبديها بعض ابناء هذا القطر في ما يحسبونهُ من وجوه البر كايقافهم العقارات الواسعة الريع على الجوامع والتكايا. فلا يندر ان تسمع بواحد يوقف الف فدان ريعها في السنة بضعة آلاف من الجنيهات على اعمال قد لا تفيد احداً او قد تعلّم بعض الكسالى الغلو في الكسل والتوكُّل. فاذا كان في البلاد حمية قومية فمجال اظهارها واسع جدًّا والمباراة فيهِ من خير الاعمال التي تكسب الذكر وتنفع الوطن. فان البلاد تحتاج الى مدرسة جامعة تبلغ نفقاتها في السنة عشرين او ثلاثين الف جنيه تعلّم تلامذتها العلوم الطبيعيَّة والفلسفية والادارية والتجارية ونحو ذلك من مما يتعلمهُ قادة الامم. وهي في اشد الحاجة الى مئات من المدارس الابتدائية والمدارس الزراعية. فاذا تعلَّم جمهور المزارعين مبادئ العلوم الطبيعية واصول العلوم الزراعية فلا يبعد ان تزيد حاصلات الارض عشرة في المئة او عشرين في المئة وما ادراك ما ذلك فان قيمة الحاصلات الآن نحو خمسين مليونًا من الجنيهات فاذا زادت عشرة في المئة فقط باتقان الاساليب الزراعية بلغت الزيادة في السنة خمسة ملايين من الجنيهات وهي تعادل اكثر من مئة مليون من راس المال

وعندنا ان ما نذكرهُ دوامًا من امثلة المحسنين الاوروبيين والاميركيين لا بدَّ وان يحرك غيرة بعض الاغنياء الواسعي الثروة حتى يجودوا بجانب كبير من اموالهم على انشاء هذهِ المدارس فتنتفع بها البلاد اضعاف ما انتفعت من الاوقاف الخيرية

هستيريا البصر

تابع ما قبله

ومن العلامات البصريَّة الهستيرية كلال النظر الهستيري وهو ناتج عن خلل التطبيق وحده أو التطبيق والتقارب وعن كره الضوء الذي سيأتي الكلام عليهِ . فإذا كان ناتجاً عن تشنج التطبيق فقط شعر المريض بألم في الرأس والعينين وظلمة في النظر وقد يرى الاشياء اصغر مما هي . وهو يشابه احياناً الكلال المرافق لطول البصر فانَّ الاولاد الذين يصابون بهِ يحسبون إبعاد الكتاب عن اعينهم لازماً لسهولة القراءة لكنهُ يختلف عنهُ بشعور المريض بانزعاج شديد بعد دقائق قليلة من المطالعة . ولا يظهر هذا الانزعاج في المصابين بالكلال البصري الناتج عن طول البصر الحقيقي الاَّ بعد استعمال العينين ساعات متوالية وبوجود العينين صحيحة من فحص قوتها الانكسارية

إما اذا كان الكلال ناتجاً عن خلل التطبيق والتقارب معاً فلا يقتصر الأمر على ما ذكر بل يرى المصاب احرف الكتابة مضاعفة وفي غير محلها الحقيقي ويشعر بشدٍّ خاص في رأسهِ وقد تشتدّ الحالة فيصاب بغثيان ويتعذر عليهِ النظر الى الاشياء البعيدة أيضاً

وقد يكون ألم الرأس أهم علامات الكلال البصري الهستيري واكثرها وضوحاً . ومركزهُ الأصلي فوق الحجاج فإذا استمرَّ المريض على العمل زاد ذلك الألم زيادة شديدة وانتشر فوق الرأس والعنق والكتفين. ومما يزيدهُ ايضاً الكدر والانفعالات النفسانية والارق . وقد يعتري المصاب فزع من النور فيضطرهُ الى البقاء في الظلام . واشد انواع الضوء تأثيراً وألماً ما كان شديداً او منتشراً كنور النهار والنور الكهربائي الساطع وهذهِ الحالة ترافق غالباً تشنج التطبيق ويتأتى عنها احياناً انقباض العضلة الحجاجية انقباضاً شديداً

وقد يشكو بعض المرضى من كرهٍ خاصّ لأحد الألوان كالأحمر مثلاً لكنَّ هذا غير خاصّ بالهستيريا

وقد يصاب الهستيريون بخلل في حركة العينين عند النظر الى الجهات المختلفة. فمن المعلوم ان المقلتين تتحركان معاً حركة واحدة في وقت واحد وهذه الحركة اما ان يكون المقصود منها رؤية الاشياء على ابعاد مختلفة وهو التقارب وقد اشرنا الى حدوثهِ في الهستيريا واما ان يكون المراد بها توجيه النظر الى الجهات المختلفة وهو ما نشير اليهِ الآن . والخلل الذي يطرأُ عليها لا يتأتى عن شلل في الاعصاب ولا عن مرض في العضلات بل عن إصابة في المركز الاعلى لهذه

الحركات وهو انقباضي محض كاغلب الاصابات الهستيرية. وقد يقتصر على حركة واحدة او يتخطاها الى حركات كثيرة فتشابه الحالة حينئذ شلل العين. واغرب ما يحدث اذ ذاك ان تصاب الحركات الارادية بدون ادنى تأثير في الحركات الاضطرارية كالتي تنتج عن ردّ العقل. مثال ذلك مريض طُلب منهُ ان يوجه نظرهُ الى ما فوقهُ فعجز عن ذلك لكن الطبيب لمس جفنهُ العلوي فجأة برأس ريشتهِ فتحركت عينهُ تلك الحركة التي لم يتمكن منها بمجرد ارادتهِ وقد ابان مِنك Mink وشافر Schaefer وغيرهما التعليل التشريحي لهذا الأمر باكتشافهما مركزين مختلفين في قشرة الدماغ لحركات المقلة أحدهما في الفص المؤخري فوق مركز البصر وهو انعكاسي غير ارادي والآخر في الفص المقدَّمي وهو اختياري محض. ولا يسبب خلل حركات العين الهستيري اقلّ انزعاج للمريض ولا يأتي عنهُ النظر المزدوج ولا يصيب جميع حركات المقلة الاَّ نادرًا جدًّا

ويُصاب الهستيريون احيانًا بانحراف المقلتين انحرافًا تشنجيًا مزدوجًا اثناء النوب التقلصية ويكون الانحراف غالبًا في الجهات السفلى المائلة وقد يستمرّ زمنًا طويلًا ويزول باستنشاق الكلوروفرم

وتتحرك العينان في بعض الاحوال الانقباضية الاخرى حركات مستمرّة عوضًا من الانحراف المذكور آنفًا وهذهِ العلة تصيبهما في آنٍ واحد فتفقدان قوة التثبيت وتبصران الشيء مزدوجًا ويصاحب ذلك غالبًا بفزع من الضوء وتشنج في الأجفان . وقد يتأتى من تهيج العين او من فروع العصب الخامس انقباضات هستيرية شديدة في المعرَّضين لذلك ومن هذا القبيل حوادث كثيرة حدث فيها الانقباض من وجود سن منخورة وزال عقب نزعها

ومما يصيب الهستيريين تشنج الاجفان وهو على نوعين الاول انكماشي مستمر تنقبض بهِ العضلة المحيطة ويمتد الانقباض احيانًا الى عضلات الوجه والرقبة ويختص بعين واحدة غالبًا وقد يرافق بفزع من الضوء وضعف في البصر والثاني ارتجاجي يصيب العينين فتطرفان طرفًا متواليًا ولا تمتاز بهِ الهستيريا بل يشاهد في احوال أُخرى وهو دليل على عدم سلامة العقل

ويتسبب تشنج الاجفان عن مؤثرات عديدة ومختلفة منها الانفعالات النفسانية ومنها تهيج العين والجلد والاغشية المخاطية ويرافق غالبًا بضعف في حس الاجفان وسيلان الدموع وظهور آلام في محيط المقلة بلا سبب او عقب اللمس الخفيف

وقد تصاب حركات الجفون في الهستيريا باعراض أُخرى كثيرة فمن ذلك ارتخاء الجفن العلوي الهستيري ويفرق عن الارتخاء الشللي باربع علامات اولاً اذا رفع الجفن المرتخي

بالاصبع ثم ترك سقط بسرعة بالنسبة الى ما يحدث في الارتخاء الشللي وثانياً يصاحب غالباً بفزع من النور تختلف درجتهُ باختلاف الحالة وثالثاً ان الجفن المرتخي الذي لايتأتى للمريض تحريكهُ بارادتهِ يرتفع ثم يهبط عندما يوجه الالتفات فجأة لامر غير منتظر . ورابعاً علامة شاركو وهي ان حاجب العين المصابة اوطأ من حاجب العين السليمة والعكس في الشلل

ومما يساعد ايضاً على التمييز بين هاتين العلتين ما يرافق الارتخاء الهستيري من الارتباكات البصرية غالباً

ومما تصاب بهِ حركة الاجفان عدم امكان تطبيقها تماماً ومن الغريب ان ترافق هذه الحالة ارتخاء الجفن العلوي المذكور آنفاً أحياناًفلا يتاتي للمريض فتح عينيهِ او تطبيقهما الاَّ قليلا

∴

ويختصُّ بعض العلامات المذكورة آنفاً بالهستيريا ولا يظهر في غيرها والبعض الآخر يشترك بينها وبين ما سواها من الامراض . اما العلامات المختصة بالهستيريا فهي اولاً انقباض الحقل البصري في اللون الابيض اكثر مما في الاحمر وغيرهِ من الالوان . ثانياً تشنج القوة المكيفة وقوة تقارب المقلتين وهو وقتي في الاطفال . ثالثاً انقباضات مختلفة في حركات توجيه المقلتين المشتركة . رابعاً تشنج الأجفان الانكماشي حتى في الاحوال التي يكون فيها مسبباً عن فعل منعكس من الجلد والاغشية المخاطية كما ذكر سابقاً . خامساً ارتخاء الجفن العلوي . سادساً انفصال الحركات الارادية وغير الارادية في شلل المقلة . سابعاً خلل او نقص في اشتراك الحركات الضرورية لتوجيه النظر الى الجهات المختلفة

اما انقباض الحقل البصري بلا آفة ظاهرة في قاع العين او خارجها فليس من العلامات الخاصة بالهستيريا لكنهُ يساعد جدًّا على تشخيص هذا الداء . والاحوال الاخرى التي يشاهد فيها ثلاثة اولها اشتداد الضغط داخل الجمجمة عقب التهاب شديد في سحايا الدماغ وثانيها آفات المحفظة الداخلة وثالثها الصرع . ويتبع في هذه الحالة الاخيرة النوب الانقباضية ويزول سريعاً بعد زوالها الاَّ انهُ قد يستمر في بعض الحوادث النادرة التي يبلغ نسبتها الى مجموع المصابين بالصرع نحو اربعة الى المئة

وقد يتأتى عن الصرع ضعف بصري وقتي او مستمر يشابه الضعف البصري الهستيري لكنهُ يتازعنهُ بنقص في جميع قوى البصر كالحدة البصرية وادراك الالوان وخلاف ذلك مما لا يتأثر مطلقاً في ضعف البصر الهستيري

ويظهر انقباض الحقل البصري المركزي واختلال حركات العين في بعض حوادث

الاضطراب العصبي التابعة خصوصاً لكلوم مرافقة بتهيج عقليٍّ شديد وهزّة عصبية وقد سمى شاركو هذهِ العلامات باسم الهيستيريا الكلومية

وقد يظنُّ التخيُّل في بعض المصابين بضعف البصر الهيستيري كما لو أراد أحدهم إحالتهُ على المعاش لكن التدقيق في البحث وملاحظة اتساع حقل اللون الاحمر اكثر من سائر الالوان الاخرى وغير ذلك من العلامات المذكورة آنفاً مع ما هنالك غالباً من تخدرِ الجلد وعدم حساسية البلعوم ولسان المزمار وإمكان لمسهما بالاصبع أو ايّ شيءٍ آخر بدون مضايقة المريض كل هذهِ العلامات تثبت حقيقة الداء

وقد يُصاحب الهستيريا بعض الامراض العضوية فيمكن حينئذٍ للخبير المدقق تمييز العلامات البصريّة المختصة بكلٍّ من المرضين. وقد وجد موركس Morex إصابات بصرية ناتجة عن امراض عمومية في ٩ من ٧٩ مصاباً بضعف البصر الهستيري ولهذا فاذا ظهر للطبيب علامة من العلامات البصرية الهستيرية في مصابٍ بمرض عضوي وجب عليهِ ان لاينسبها الى هذا المرض الاَّ متى امكن نفي مرافقة الهستيريا

المعالجة

تُعالج الادواء المذكورة آنفاً بالمواد التي تُعالج بها اعراض الهستيريا العمومية فالحلتيت والفاليريانا والبروم تفيد فائدة كبيرة في كثير من الحوادث وللوهم تأثير شديد حتى في بعض الاحوال التي لايفطن لها الطبيب فمن ذلك ما قرأتهُ في عدد يناير الماضي من مجلة طب العيون ذكر احدُ الاطباء ان عليلاً شكا لهُ من ضعف في بصرهِ وألمٍ شديد في رأسهِ وكانت حدقتهُ اليسرى اوسع مما هي عادة فظنهُ مصاباً بالجلوكوما واجري لهُ عملية القشط القزحي فتحسنت حالتهُ بعض التحسن لكنهُ عاد بعد اربع سنوات وأُصيب بنوب اغماءٍ وظهرت فيه علامات التهيج العصبي الشديد كآلام مستمرّة في الجزء المؤخري من الرأس وازدياد في الانعكاس الرضفي وارق واضطراب فشخَّص اصابتهُ حينئذٍ بانها هستيرية وبعد ذلك بسنتين اعترتهُ نوبة شديدة اضعفت بصرهُ جداً بعد ان اصيب بتشنج مؤلم في مؤخر رأسهِ وأُحضِرَ حينئذٍ الى عيادة رمدية وكان في حالة سيئة جداً يبكي ويشكو من شدة الالم والحاجة الى النوم وينوح على بصرهِ الذي لم يبقَ منهُ سوى مجرَّد ادراك الضوءِ وكان حجم الحدقتين اعتيادياً وقاع العينين سليماً . ولما لم تجدِ معالجتهُ وضعهُ ذووهُ في احد المستشفيات الخاصة بالمصابين بداء الصرع لانهم حسبوا النوب التي كانت تصيبهُ من نوع هذا المرض فتحسنت حالتهُ هناك قليلاً لكنهُ عاد فأُصيب بنوبة شديدة قال بعدها ان نظرهُ فُقِدَ تماماً واشتدت آلام

رأسهِ فكان يلقي نفسهُ في سريرهِ صارخاً باكياً فأعطاه الطبيب جرعة من الانتيبيرين وأكَّد لهُ انهُ سينام في الحال وهكذا كان . فلما استيقظ قال انهُ احسن مما كان عليهِ قبل الرقاد ونظر اليد على بعد مترٍ ثم أخذ الطبيب بعالجهُ بالايهام والتأثير على الافكار فظل نظرهُ يتحسن يومياً الى ان شفي تماماً ولم يعد يشكو من شيء مطلقاً . ويقول الطبيب انهُ لمن المرجح ان هذا المريض لم يصب قط بالجلوكوما وان الفائدة الوقتية التي نتجت عن العملية كانت وهمية . اما العلل التي تأتي بالمستيريين الى الطبيب الرمدي فقلما تخرج عن الامور التالية وهي كلال البصر وكره الضوء وآلام المقلة وتشنج الاجفان

اما الكلال البصري فينتج غالباً عن ارتباك القوّة المكيفة او المطبقة للعين ويعالج باستعمال العدسات المحدّبة حتى في الاحوال التي يشاهد فيها درجة شديدة من قصر البصر التشنجي ولا يمكن معرفة قوة العدسة اللازمة بقياس الظل الشبكي بل ينبغي الابتداء بعدسة ضعيفة وزيادة قوتها تدريجاً بحسب اللزوم . واذا اشتد التشنج افاد الاتروبين فائدة كبيرة بازالتهِ لكن العلة تعود فتظهر بعد ما يزول تأثير الدواء الاَّ انها تكون اضعف مما كانت خصوصاً اذا استعملت الطرق الاخرى الواقية كالعدسات المحدبة والمنشورية والزجاجات المدخنة

اما اذا كان ضعف التقارب هو العلامة الرئيسية فمن المفيد استعمال عدسات منشورية قوتها درجتان او ثلاث درجات وقاعدتها الى الجهة الانسية وبما ان اختلال التقارب قلما يصيب المستيريين وحدهُ بل يصاحب دائماً تقريباً بتشنج التطبيق فكثيراً ما يكون من الضروري والنافع جداً مزج العدسات المحدّبة بالمنشورية . وفي هذه الحالة لا يمكننا ايضاً معرفة قوّة المنشور الواجب استعمالهُ من مجرّد فحص كمية التقارب بل الواجب الابتداء بالعدسات الضعيفة لانها قد تفيد في الاحوال الشديدة جداً . اما اذا كان اختلال التقارب مرافقاً بدوار فمن الضروري الالتجاء الى العدسات المنشورية فقط واستعمالها مدى اليقظة

ويعالج الفزع من الضوء باستعمال العدسات المدخنة والملوّنة وهي تريح المريض وتنقص تشنج التطبيق وانقباض ميدان البصر

والآلام التي تصيب المقلة ولا تكون مسببة عن اختلال التطبيق والتقارب نفسانية الاصل ولهذا فقلما تنجح فيها المعالجة الاَّ اذا كانت من قبيل الايهام . وتشنج الاجفان المستيري مثل سائر اعراض هـذا الداء مركزي الاصل ويعالج بالمواد المحسنة للحالة العامة وبتقطير الكوكايين وبالدلك وبالمجرى الكهربائي المستمر . وقد وصف لهُ كثيرون من اطباء العيون عمليات مختلفة كقطع العصب الواقع فوق الحجاج ومدّهُ . واستنبط علوي

باشا طريقة جديدة ذكرها في كتابهِ المعروف بالنخبة العباسية في الامراض العينية وقال انهُ بعد ازالة الحساسية الموضعية بالكوكايين يضع في احدى عيني المريض الآلة المبعدة الانسية للأجفان وفي الاخرى الآلة المبعدة الوحشية ثم بعد مضي نحو عشر دقائق يعكس وضع هاتين الآلتين قاصداً بذلك ايقاع كمية واحدة من القوة الممدّدة على كلٍّ من زاويتي العينين ثم بعد مضي عشر دقائق اخرى يرفع الآلتين ويأمر المريض بالاستراحة في غرفة مظلمة مدة ساعة ونصف. لكن الراي الغالب الان ان كل العمليات المذكورة آنفاً لا تفيد المريض الهستيري الاَّ بايهامهِ فهو يعتقد بقدرة الطبيب وينتظر من عمليتهِ نتيجة حسنة فلا يلبث ان ينالها لان العلة الاصلية وهمية

ويفيد التنويم المغناطيسي فائدة كبيرة في اكثر الحوادث وقلة استعمالهِ ناتجة في الغالب عن امرين الاول قدرة الاطباء القادرين على العمل بهِ والثاني احجام العدد الكبير من المرضى عنهُ. انتهى

الياس ابرهيم الصليبي
طبيب العيون

قوانين يوستنيانوس

تابع الفصل السادس عشر

(٤) ليس العبد المعتق بعرضة لتغيير الحالة

(٥) ان الذين يتغير مقامهم لا يطرأُ عليهم لاجل ذلك تغيُّر الحالة

(٦) القرابة العصبية لا يفسدها تغيُّر الحالة الصغيرة لكنها تبطل بالتغير الكبير

(٧) الوصاية هي لاقرب الاوصياء درجة وان تعددوا وكانوا في درجة من القرب كانت لجميعهم

الفصل السابع عشر في وصاية الموالي الشرعية

وصاية المعتقين والمعتَقات هي للموالي ولاولادهم وانما قيل لها شرعية لان الشرع يجعل ميراث المعتقين المتوفين بلا وصيَّة لمواليهم او لأولاد مواليهم . وبما ان فوائد التركة لهم وجب ان يكون عبء الوصاية عليهم (جريًا على المشهور بين الفقهاء من قولهم من لهُ الغنم فعليهِ الغرم)

الفصل الثامن عشر في وصاية الآباء والاجداد الشرعية

كما ان للموالي وصاية شرعية على المعتقين كذلك المعتق متى كان لهُ صغار تكون لهُ الوصاية

عليهم فهو وصيٌّ شرعيٌّ على ابنهِ او ابنتهِ وابن ابنهِ او ابن بنتهِ وغيرهم من الفروع

الفصل التاسع عشر في الوصاية الايداعية

توجد ايضاً وصاية اخرى يقال لها ايداعية وهي متى اذن ابٌ لابنٍ او لابنةٍ او لآخر من النازلين منهُ وهم غير بالغين كانت للاذن على هؤلاء الاولاد او النازلين منهم وصاية شرعية · اما عند موتهِ فان كان في اولادهِ ذكور كانوا هم اوصياء على البقية · على ان ذلك مشروط بان تتوفر فيهم كل شروط العمر التي توجب شريعتنا رعايتها في كل وصاية ونظارة

الفصل العشرون في الوصي بحسب شريعة إبتليا وفي الوصي بحسب شريعة جوليا وتيتيا

يقام وصيٌّ لمن ليس عليهِ وصيٌّ

(١) كان الامر كذلك عند ما كان يقام وصيٌّ بكتاب الوصاية تحت شروطٍ او الى اجلٍ مسمى حتى اذا تمَّ الشرط وحلَّ الاجل تنتهي الوصاية وقد كان ايضاً يعين وصيٌّ بلا شرط ان لم يكن احد يدّعي انهُ وارث بحكم كتاب الوصاية

(٢) يقام وصيٌّ اذا وقع وصيهُ اسيراً في يد العدوّ

(٣.٤) انهُ تبعاً للشريعة الجارية يقيم الاوصياء في رومة حاكم المدينة او القاضي واما في الاقاليم فيقيمهم الولاة ولكن بعد التحقيق او يقيمهم القضاة بامر الولاة · وذلك متى كانت تركة القاصرين زهيدة

(٥) اما نحن فنحكم من دون انتظار اوامر الولاة متى كانت املاك القاصر او البالغ تبلغ خمسمائة صوليد بان يجتمع محامو المدن مع الاسقف او اشخاص آخرين عموميين او قاضي مدينة الاسكندرية ويقيمون الاوصياء او النظار ويأخذون عليهم كفالة شرعية

(٦ ٧) يجب على الاوصياء عند بلوغ القاصر ان يقدموا حساباً عمّا اجروا في مدة الوصاية

الفصل الحادي والعشرون في إجازة الوصاية

اذا اشترط الصغار ان يُعطى لهم شيء معين فلا يكون بهم حاجة الى اجازة اوصيائهم والاَّ كانت هذه الاجازة ضرورية على انهم مباح لهم ان يجلبوا المنافع من دون اذن الوصي ومحظور عليهم ان يتصرفوا بما يؤدي الى الخسارة بدون اذنهِ · يؤخذ من ذلك انهُ في العقود التي يترتب عليها التزامات متبادلة والتي من اجلها لا يعطى هذا الاذن ممن يعقدونها مع القاصر تلزمهم واما القاصر فلا تلزمهُ

(١) لا يجوز للقاصر ان يأخذ ميراثاً ولا ان يطلب وضع اليد على الملك ولا ان ينتفع بالميراث الصادر عن الايداع الاَّ باذن الوصي

(٢) يجب على الوصيّ للحال ان يجيز ذلك للقاصر بصك يوقع عليهِ بخطهِ

(٣) اذا قامت دعوى بين القاصر والوصيّ يقام وكيل للقاصر

الفصل الثاني والعشرون باية وجه ترتفع الوصاية

متى ادرك الصغار من الذكور والاناث سن البلوغ ارتفعت عنهم الوصاية. وبلوغ الذكور عندنا عند انتهاء السنة الرابعة عشرة وبلوغ الاناث عند تمام السنة الثانية عشرة

(١) ترتفع الوصاية متى تبني الصغار بطريقة التبني الاستدعائي او متى غربوا (اي نفوا) ومتى استعبدوا

(٢) الوصي المعلقة وصايتهُ على شرط ينعزل عن الوصاية متى تمّ الشرط

(٣) ترتفع الوصاية بالموت سواءٌ مات الصغير او الوصي

(٤) ترتفع الوصاية ايضاً بتغير حالة الوصي اذا حرم حريتهُ او حقوق وطنيتهِ اما الوصاية الشرعية وحدها فترتفع بتغير حالة الصغير

(٥) الاوصياءُ المقامون الى اجل محدود اذا حلّ الاجل عزلوا عن الوصاية

الفصل الثالث والعشرون في نظار من دخلوا في سن البلوغ

من بلغ من الذكور والاناث يقام لهُ ناظر حتى تتم لهُ خمس وعشرون سنة

(١) ان هذا الناظر يقيمهُ القاضي كما يقيم الوصي

(٢) لا يكره الشاب على قبول الناظر ان لم يكن هناك دعوى

(٣) المجانين والمبذرون هم تحت نظارة عصباتهم وقد جرت العادة في رومة ان والي المدينة او قضاتها يقيمون النظار للمجانين والمبذرين وذلك بعد التحقيق (اي بعد ثبوت الجنون والتبذير) وعلى هذا يجري معهم الولادة في الاقاليم

(٤) كما يقام نظار للمجانين والمبذرين كذلك يقام نظار للبله والصم والبكم والمصابين بداء عياء

(٥) يقام للقاصر وكيل حين يعجز وصيهُ الشرعي عن احكام الادارة ولو لم يخشَ منهُ الغش وكذلك يقام عادة وكيل ليغني غناءَ الوصي المعفى موقتاً من القيام باعباءِ الوصاية

(٦) متى تعذر على الوصي القيام بادارة اشغال القاصر ومتى كان هذا القاصر بعيداً عن املاكهِ او حدثاً جداً فحينئذٍ يقيم القاضي او والي الاقاليم من يريدهُ الوصي وكيلاً ويجعل العهدة في ذلك على الوصي

الفصل الرابع والعشرون في كفالة النظار والاوصياء

انهُ محافظة على املاك القاصر ذكراً كان او انثى واملاك من عليهِ قيم او وكيل حرصاً

عليها ان تهلك او تفسد باستعمال الوصي او القيم يستوثق القاضي من الوصي والقيم بكفيل على ان الوصي المقام بكتابة الوصاية لا يؤخذ عليهِ كفيل وكذلك الوصي المقام بعد السوال عن احوالهِ

(١) اذا تعدد الاوصياء بان كانوا اثنين او اكثر وكانت وصايتهما مثبتة في كتاب الوصاية او كانت من قبل من لهُ حق باقامة الوصي بعد استطلاع حالهِ والعلم بانهُ ثقة امين فليس لواحد منهما او منهم ان يطلب كفالة من الاخر لكن عليهِ ان يعرضها حتى يتهيأ لشريكه في النظارة او في الوصاية لاجل الانتخاب الخيار في قبول الكفالة او اعطائها. فان لم يعرض احدهما او احدهم الكفالة وكان الموصي قد خص التصرف في الوصاية بواحد منهما او منهم فالذي اختصه بذلك هو الذي يتصرف. وان لم يكن الموصي قد عين واحداً منهما او منهم للقيام باعمال الوصاية فانما يتصرف فيها من اختير لذلك بالاكثرية واذا وقع الخلاف بين هؤلاء الاوصياء كلهم يعين القاضي واحداً منهم للتصرف

(٢) اعلم ان ليس الاوصياء والنظار هم المسؤولين وحدهم عن ادارة املاك القاصرين او البالغين بل ان الذين يقبلون الكفالات هم مسؤولون ايضاً لكن بصورة ثانوية . وهذه المسؤلية تسري الى ورثتهم

اذا لم يستوثق بكفالة فالاوصياء والنظار يلزمون باعطاء رهن

الفصل الخامس والعشرون في اعذار الوصي او الناظر

ان الوصي او الناظر يعذر عن القيام باعباء الوصاية او النظارة لاسباب مختلفة واكثرها عادة تعدد الاولاد . ففي رومة ثلاثة اولاد احياء وفي ايطالية اربعة وفي الاقاليم خمسة يوجدون عذراً

اما الاولاد المتبنون فلا يعدُّون . والاولاد المسلَّمون للتبني يعدون للاب الطبيعي . واما الاحفاد والنازلون من الابن فلا يعدون الاَّ مكان ابيهم والاولاد المتوفون لا يعدون واما القتلى في المعركة فيعدون في حكم الاحياء

(١) ان منشور العاهل مارك أورال يقضي بأن من يدير اشغال بيت المال قد يعذَر عن القيام بالوصاية او النظارة ما بقيت هذه الادارة بيدهِ

(٢) من يتغيب في خدمة عمومية يُعذَر ما بقيت غيبتهُ

(٣) من يتقلد ولاية عامّة يجوز ان يعذر ولا يجوز ان يترك وصاية بدأ بها

(٤) ان الوصيّ او الناظر اذا كان لهُ دعوى على الصغير الذي هو وصيهُ او البالغ الذي هو ناظرهُ لا يجوز ان يُعذر الاَّ متى عمت المحاكمة كلها

(٥) ان التكليف بثلاث وصايات او ثلاث نظارات غير مطلوبة يقتضي الاعفاء من القيام باعمال الوصاية ما بقي هذا التكليف

(٦) الاعتذار بعلة الفقر كان مقبولاً بحسب شريعة العاهل مارك أورال

(٧) كذلك يعذر المرء بعدم اعتدال مزاجهِ

(٨) في منشور العاهل انطونان السعيد ان الامي يجب ان يعذر

(٩) اذا اوصى الى من يكرههُ وعينهُ في كتاب الوصاية فهذا السبب عذرٌ للوصي كافٍ

(١٠) ان العداوات الظاهرة لأبي اليتامى او البالغين عذرٌ

(١١) من كان ينازعهُ في وظيفتهِ ابو اليتامى فهو معذورٌ

(١٢) كذلك من فات السبعين من عمرهِ . ليس لليتامى ولا للبالغين ان يدعوا بالوصاية ولا بالنظارة

(١٣) هذا الحكم نفسهُ جارٍ على العساكر

(١٤) النحاة في رومة والبيانيون والاطباء يتمتعون بالاعفاء من الوصاية والنظارة وكذلك القائمون على تعليم النحو والبيان والتطبيب والمنتظمون في عددٍ معين

(١٥) لا يقبل العذر من الوصيّ او الناظر ما لم يُقدَّم في اثناء خمسين يوماً اعتباراً من علمهِ باقامتهِ وصيًّا او ناظرًا كائنًا ما كان نوع الوصاية او النظارة

هذا اذا كان الوصي او الناظر على بعد مائة حجر من المكان الذي عين فيهِ . وان كان أبعد من ذلك فيحسب يوم لكل عشرين ميلاً ويضاف الى ذلك ثلاثين يوماً . ويجب في كل الاحوال ان لا يكون عدد الايام اقل من خمسين يوماً

(١٦) الوصي يعتبر مقاماً على التركة كلها

(١٧) من ينفذ وصاية شخص لا يكره على ان يكون ناظرهُ او قيمهُ

(١٨) قد اباح العاهلان سيفيد وأنطونان بمنشورهما للزوج المقام ناظرًا على زوجتهِ ان يعتذر عن النظارة ولو بعد الشروع في مباشرة اعمالها

(١٩) من يعتذر عن الوصاية بحجة كاذبة فلا يعفى من التكاليف التي تفرضها

الفصل السادس والعشرون في الاوصياء والنظار المرتاب في أمانتهم

(١) حق عزل من يرتاب في امانتهِ من الاوصياء في رومة للقاضي وفي الاقاليم للولاة ومن يقومون مقامهم

(٢) من الجائز ان يرتاب في امانة الاوصياء طرًّا مع ذلك لا يجوز ان تغفل رعاية شرف الموالي (اي متى كانوا احياء)

(٣) اعلم ان لكل احد ان يشكو الوصيّ ويتهمهُ بالخيانة · وزد على ذلك ان النساء أنفسهن تقتبل منهنّ اقامة هذه الشكوى اذا كان الباعث لها الشفقة على من هم تحت ولاية الوصيّ او نظارة الناظر

(٤) ليس لليتامى ان يشكوا اوصياءهم بالخيانة اما البالغون فلهم ان يشكوا نظارهم ويتهموهم

(٥) المرتاب فيهِ من الاوصياء هو الذي يخون في اعمال الوصاية · فهذا وان كان موسراً تكفُّ يدهُ بموجب القانون الاساسي كمتهم بالخيانة حتى ولو كان ذلك قبل مباشرة الوصاية

(٦) المكفوف اليد لخيانة والمرتاب فيهِ هو المفسَّق واما المكفوف اليد لذنب واحد فليس هو بمفسَّق

(٧) تكف يد الوصي المشكو بالخيانة الى ما بعد انتهاء الدعوى

(٨) اذا توفي الوصي او الناظر المتهم بالخيانة انتهت متابعة الدعوى المقامة عليهِ

(٩) اذا لم يحضر الوصي لدى القاضي لتعيين نفقة القاصر فيعد ذلك بمنزلة اطلاق الاذن للقاصر ان يستولي على أملاكهِ والاشياء القابلة للتلف تباع بعد إقامة الناظر

(١٠) اذا ادعى الوصي باطلاً لدى القاضي ان فقر اليتيم يمنع من تعيين نفقة لهُ فيعاقب

(١١) اذا ثبت أن المعتق قد تصرَّف بخيانة وغش في وصاية على ابن او أحفادِ مولاهُ وجب ان يُعاقَب ايضاً

(١٢) اعلم ان من يتصرف بخيانة في الوصايات يجب ان تكف يدهُ بل وان يستوثق منهُ بكفالةٍ سعيد الخوري الشرتوني

الوصاية عند اليهود

(١) يجب على كل اسرائيلي ان يختار قبل موتهِ وصيًّا على اولادهِ القصر ليقوم بحفظ اموالهم وتدبير شؤونهم حتى يصلوا درجة البلوغ المقدرة بثماني عشرة سنة للذكر واثنتي عشرة سنة للانثى (مئيرت عينايم وسنتي كوهين على حوشن مشباط بناءً على مذهب الطور)

(٢) يجوز للاب ان يختار للوصاية على اولادِ اي انسان كان يعهد فيهِ الاهلية لتدبير شؤونهم وحفظ اموالهم فيصح اختيار المرأة والعبد ويجوز اختيار القاصر الذي ظهرت خبرتهُ وحسن تصرفهِ (اوريم وتميم على حوشن مشباط)

(٣) ان لم يعين الميت وصياً على اولادهِ ينتخب لهم القضاة وصيًّا ممَّن لايشك في استقامتهم وذمتهم من المعروفين بالاستقامة والخبرة وحسن التصرُّف ولا يجوز انتخابهُ من النساء ولا العبيد ولا القصر لان جواز اختيار هؤلاء خاص بالاب (مسجيربت هسولحان جزء ثالث عبارة ١٠٩) من كتاب المقارنات والمقابلات

اسير يطلب الحرية (١)

حيّا التقدمُ مربعَ الفيحاء مجلي الصفاء ومرتعَ النعماء
ورعى اكارمها العليُّ فانهم نخب الكرام وخيرة الفضلاء
وهمُ همُ والحق اعظم شاهد روح العلوم وغرة العلماء
قوم لهم خُلْق ارق من النسـ ـيم اذا سرى في روضة غنّاء
غرٌّ الفضائل مازجت اخلاقهم مثل امتزاج الماء بالصهباء

سادتي انني اقف وقفة المعجب لدى هذه المدينة العظيمة بقدميتها . العظيمة باهميتها التاريخية . العظيمة بكونها ام المدن السورية . العظيمة بمشاهيرها واعاظم رجالها . اقف لديها وانا اراها وارى الاصابة مني معقدة الازار — أَراها عاصمة الآداب الاخلاقية . اراها خير حلبة لسباق اولي النهضة العلمية . اراها ارضاً طيبةً وسماءً نقية صالحة لحياة روح الحرية الادبية روح العلم الصحيح . روح الفضائل النفسية في هوائها النسيم ونسيمها العليل

واراني بازاء هذه العظمة الخالدة كعصفور يرفع نظرهُ الى قمة جبل عظيم وهو واقف عند حضيضهِ فيرى ما يبهر نظرهُ ويشدهُ فكرهُ فيغرق في لجج التصور والخيال

وقد اقترح عليَّ بعض اعضاء هذهِ الجمعية الزهراء ان اقف لديكم خطيباً مع انني اولاكم بالسمع والاصغاء فشكرت واعتذرت فلم يقبل لي عذر فلبيت الطلب وبعد ان قلَّبت المواضيع التي يحلو البحث فيها مليًّا وجدت مراعاة للنظير — بعد ما تأكدتهُ من لطفكم وشرف اخلاقكم — ان اجعل موضوع خطابي الكلام عن مخلوق لطيف شريف لا يخلو الكلام عنهُ من طلاوة الجديد وافادة المفيد . ولست في هذا المقام متكلفاً الاعتذار عن قصر باعي لتأكدي ان لطفكم عذيري وضمين الرضاء لي والعذر شيمة الكرام

موضوع خطابي ايها السادة الكلام عن اسير يطلب الحرية . اسير لا اعلم ان كنتم لا تعجبون ان قلت لكم انهُ اسير مكبَّل بالقيود ملقى في اعماق سجن مظلم زمناً يربو عن سبعة آلاف عام وهو كل هذهِ المدة يستغيث ويستجير ولا مغيث ولا مجير . مرت عليهِ اعاظم رجال العلم والفلسفة وسمعوا بكاهُ ودروا ببلواهُ ولم يبلغوا الى اطلاقهِ سبيلاً ومن حاول منهم تفريج كربتهِ واطلاق سراحهِ جوزي بنفس جزائهِ ومات باعراض دائهِ

هؤلاء العرب الجيل الناشيء بين معترك البيض والسمر القوم الذين هم ارق معاصريهم

(١) خطاب تلي في احدى الجمعيات العلمية في دمشق الشام

شعورًا وابعدهم عن اهتضام حقوق الخلق نفورًا قام ابن رشد فيلسوفهم الكبير لتخفيف بعض اثقال هذا الاسير فزلزلت الارض في وجههِ زلزالها واخرجت اثقالها وأَلمَّ بهِ من كوارث الزمن وبواعث الفتن ما شغلهُ بهمهِ عن سواهُ وغادرهُ يكرر: لا حول ولا قوة الاَّ بالله

وهذا الغزاليُّ الفيلسوف الشهير وهو كما يرى من وراء مؤلفاتهِ رجل صلاح وعدل وتقى سمع شكواهُ ودرى حقيقة بلواهُ ولم يستنسب التعرض لامرهِ خشية ان يلمَّ بهِ ما الم بسلفهِ مع ضعف الامل بالنجاح . في وقت لم تنضج فيهِ داعيات الاصلاح

وكأَني بكم يا سادتي قد زدتم تشوقًا الى معرفة هذا الاسير الغريب الحال واستطلاع طلع امرهِ ولذلك ها انا اسأَلهُ على مسمعٍ منكم عن حالهِ ومآلهِ ومطمح آمالهِ واجيبكم بلسانهِ عن عجيب امرهِ وغريب شأنهِ وهذا مستهل المحادثة

— ما ذنبك ايها المسكين حتى قضي عليك بالاسر الابدي ؟

— تعدُّ ذنوبي عند قوم كثيرة ولا ذنبَ لي الاَّ العلى والفضائلُ

— وما هي تلك الفضائل ؟

— من تلك الفضائل انني عامل نشيط لا اتوقف عن العمل ثانية واحدة فاشتغل في الليل والنهار واتهجَّد عند ما يكون الناس نيامًا ولا اتعهد البطالة ولو اشتغلت باضغاث الاحلام ومن تلك الفضائل انني سريع النهضة سريع العمل اجوب العالم الارضي من كرة الهواء الى اللجة الدأْماء فالسيارات فالثوابت فعالم السر والخفاء واعود القهقرى فانشر مطوي الماضي واسرع الكرة فانشر مطويَّ المستقبل وكل ذلك في اقل من لمحة طرف او وميض برق . ومن تلك الفضائل انني مصدر كل عمل نافع ومشروع مفيد ورأْي صائب وفن جميل

— مسكين . امثل حاوي هذه الفضائل يؤسر و يعاني حمل القيود ولكن أَلا يمكنك ان تخبرنا عمن وشى بك حتى وقعت في هذه المغبَّة الفاجعة ؟

— لا اعلم عن ذلك غير اني من ساعة ولدت أُمسكتْ يداي ورجلاي وشددت بالاغلال وزجَّت في مطابق الاسر بالحال

— ان هذا اغرب واعجب ولكن هل من مانعٍ يمنعُ التصريح باسمك بعد ما عرفناهُ من غامض سرك وغريب امرك

— لا بأس في ذلك فانا الاسير بلا اثم ولا حرج انا الفكر البشري الذي يبكي الحرية من قرون طويلة وكلما دنت الحرية مني حتى اكاد ان المسها بيدي نفرت نفور الغادة الحسناء من شيخٍ رأْسهُ كالثغامة اشيب ولم ابرح اودّع املاً واستقبل آخر كسابح في اليم تتوالى عليهِ

الامواج فلا يودِّع الماضية حتى يستقبل القادمة

— وممن تطلب الحرية ؟

— اطلبها من كل امة من الامم فالامة في كل بلاد هي العنصر الحي هي القوة الفعالة هي الاساس الثابت هي العامل المطلق منها اطلب الحرية التي لو خولتنيها كل القوانين والحكومات والتعاليم ولم تمد كل امة على حدة يدها لمناولتي اياها فمن العبث كل ذلك

— وبما ذا تعد الامة مقابل نصبها وجدها لاعطائك حريتك ؟

— اعطيها عندئذٍ كل خير كل نجاح كل مفيد كل نافع . اريحها من داء المخاتلة اريحها من تبكيت الضمير اريحها من خديعة الغاش انشر علمَ الفضيلة على رؤوس الملا انقي العلم الصحيح مما غشى وجههُ الجميل من ادناس المراءاة والمخاتلة وهل على هذا من مزيد ؟

— ولكن هل من لديك شواهد من سالف مآثرك تؤكد انجاز وعودك ووفاء عهدك ؟

— هذا من اسهل الامور . تذكر ولا اخالك ناسياً انني مرة دنوت من خرستفوروس كولومبوس وهو متكيء على وسادة رقادهِ والست جبهتهُ العالية وقلت ما قولك ايها المفضال ؟ : ان الله العليم الحكيم يخلق هذه الكرة الارضية ويملأُ جانباً من قسمها الشرقي باليابسة ويترك القسم الآخر مجالاً لتعارك الامواج ومضرباً لنوافخ الرياح ان هذا مضاد لحكمتهِ ولابدَّ ان وراء هذا البحر العظيم الذي يعانق شواطيء اوربا وافريقية طريقاً موصلاً الى الهند على اقرب وانسب حال وبرًّا عظيماً في اكتشافهِ للخلق نفع عظيم وخير عميم وكان من ذلك ما كان من سعي ذلك المكتشف وفوزهِ باكتشاف اميركا الذي در على الهيئة الاجتماعية فيوض الثروة وفتح في وجه النشيطين باب الارتزاق باستثمار ارض عذراء يؤمها المهاجرون من اقصى الاصقاع سعياً وراء الثروة او جرياً امام حادي الحاجة

كان احد رجالي مرة يتأمل فتك الجدري الذريع ببني الانسان وقصفهُ اغراساً غضة لو نمت وجازت زمن الطفولية لكان ما فيها رجال تخدم الانسانية والعلم خدمات صادقة وبينما كان يتامل هذا الامر ادنيت شفتي من اذنيهِ واسررت اليهِ سر اكتشافهِ العجيب النافع فامتحن فاصاب وكان ما كان من جزيل النفع للانسان فكم رد اكتشافهُ اولاداً لوالديهم ووالدين لاولادهم كم بردّ حسرات وردَّ لهفات وانتشل مريضاً عزيزاً من قبضة الممات . وماذا اعدُّ من امثال ذلك فمثل هذه الاعمال المفيدة لاتخلو منها ساعة من ساعاتي ولو قلبت يوميتي صفحة صفحة وتلوتها سطراً سطراً لوجدتها مجموع اعمال جلى قد عادت على الجنس البشري سلطان الوجود الارضي المتملك مملكتي الحي والجماد باوفر نفع لا ينكر وجزيل افادات لا تحصر . وهذا هو العلم

الذي لاينكر فضلهُ عاقل من يعيهِ غيري ومن ينقلهُ من ذهن الى ذهن سواي وهذه البلاغة ألستُ اول شروطها الثلاثة وهي قلب مفكّر · وبيان مصوّر · ولسان معبّر · وهذا الشعر سيد الفنون الجميلة أليس هو مجموع افكار دقيقة رقيقة سامية مفرغة في قالب مخصوص

— ولكن بعض الباحثين يقولون ان باطلاق سراحك اندفاع الانسان في ميادين المنكرات وتجرؤهُ على التعاليم الدينية المقدسة وتطاولهُ على الرئاسات المدنية السامية التي بها انتظام الامور ونفوذ عدل الدستور

— يشهد الله انني بريءٌ من هذه التهم والفظائع التي ليست الاَّ من تغريرات الخناس الذي يوسوس في صدور الناس اما انا الفكر البشري الشريف اللطيف السامي لا ينتج مني الاَّ كل ما هو سام كل ما هو نافع للانسانية وبنيها

— لااظن ايها الفكر البشري ان عاقلاً لا يشعر بوجوب اطلاق سراحك وكسر قيود اسرك ولكن كثيرين من الكتبة والمؤرخين يقولون انك قد اطلقت من اعتقالك عند اول طلق أُطلق من المدافع على الباستيل اكبر سجون اعوانك وانصارك في مطلع الثورة الفرنسوية الشهيرة

— لا لا فالامر مبالغ فيهِ كثيرًا ولا تصدق كل ما يقولهُ المؤرخون والكتاب فالكثيرون منهم يتمسكون بتلك الآية التي اوحاها الى الخلق شيطان جبن النفس وهي — ان ليس كل ما يعلم يقال — اتظن انني مطلق الحرية ؟ وهذه الدول تقوم القوية منها لتسحق الضعيفة باقدام اطماعها الثقيلة وجانب من الدول الباقية تحرق الارم غيظًا من عملها وسفراؤها في عاصمة تلك الدولة المحتجة بالقوة لا العدل تجاملها كل المجاملة وتؤكد لها وثوق عرى التحاب بين دولهم وبينها · اهذه هي حريتي ؟ اواه من هذه الحرية اتظن ان حريتي بانطلاق بعض الجرائد في غيها تسبُّ زيدًا وتشتم عمرًا لقاء انتقام نفس دنيئة او لشراء ذاك المشتوم شرف عرضهِ بمال يدفعهُ لمحررها الذي يسمي نفسهُ خادم الانسانية وناشر لواء الحق · · ام من حريتي انطلاق جرائد اخرى شوطًا قصيًا في حلبة المجاملة لاكتساب رضى القراء وارباب الاموال واذا كتب كاتب كتيبًا في كل قنطار من ابحاثهِ درهم من الفائدة واهداهُ الى ادارتها جعلته في تقريظها منتهى الحكمة وآية البلاغة

اه منك ايتها العدوّة الزرقاء المسماة في اللغات الاجنبية (بالبلوتيكه) طوبى لمن يمسك اولادك ويضرب بهم الصخرة فهم مضيعو الحقوق وتاركو الاحمق غارقًا في لجة جهلهِ والعاقل آسفًا على اضاعة اتعابهِ وعدهِ في عداد من لا يراهم اهلاً للانتظام في سلكهِ من كرام الرجال

خدمة الانسانية والوطنية نعم ان الحقيقة تكون في بعض الاحيان مرة موجعة ولكن السكوت عنها يكون اوانئذٍ امرّ واوجع

— اسأل الله لك ايها الفكر البشري نيل مرامك والتخلص من ربقة اسرك وقبل الختام ارجو ان تخبرني عن رأيك في الدمشقيين فاني اراك صائب الرأي اصيله

— لست جحوداً لانكر فضل بعض ادبائهم الذين يميلون اشد الميل الى اطلاقي من اسري ولكن بمقتضى مبدإي الذي اجاهر بهِ وهو حرية الفكر اقول انهم في المرحلة الاولى من الطريق وان التمام لا يتم لهم الاَّ بتمسك الامة باسرها بمبدإي القويم . وقد اطلنا الحديث وربما يكونون قد ملوا من هذهِ الاطالة فأرى بما تقدم الكفاية

سادتي : انني حضرت الاحد الماضي خطبة الخطيب الذكي في تلك الحفلة وقد اخذ موضوعاً لهُ "وجوه متضاربة" فحللهُ تحليلاً كيماوياً وتناول لبابهُ واوضح الحقيقة بلا احتراس او تستر فشعرت عندئذٍ ان قوة داخلية تقبض على فؤادي وترقصهُ سروراً وارتياحاً وهذا الارتياح دفعني لاشكر لكم انتشار مبدإ حرية الفكر بين ظهرانيكم ولم ارَ موصلاً الى شكر يدخل النفس من باب الصدق والصواب الاَّ بتمهيد هذه المقدمات الشعرية ولا اراني في حاجة الى حث حضرتكم على التمسك بهذا المبدإ الشريف مبدإ حرية الفكر فانتم ادرى مني واخبر بفضلهِ ونفعهِ وانما ارجو كلما عنَّ مبدأ حرية الفكر لكم ان تذكروا بالخير هذا الغريب العازم على الرحيل الذي

يودعكم ويودعكم فؤاداً بقربكم لقد عشق الاقامه
سيترك عندكم قلباً شكوراً يكرر شكركم حتى القيامه

(حامد)

وصف دمشق للشيخ عبد الغني النابلسي

إن سامك الخطب المهول فأقلقا فانزل بأرض الشام واسكن جلَّقا
بلدٌ سمت بين البلاد محاسناً ونمت بهاءً واستزادت رونقا
زاد السرور بها لكل معرّج لا سيما ان كان من اهل التقى
ان تعشقوا وطناً فذي اولى لكم دون البلاد بأن تحب وتعشقا
خير الاناس أُناسها يرعون أنـ ـواع الوداد ويحفظون الموثقا
هي جنة للطائعين معدَّة يتمتعون ولا يرون بها شقا
طابت هواءً للنفوس وماؤُها عذبٌ زلال سائغ لمن استقى

الياذة هوميروس

هذا هو النشيد الذي كان ادباء اليونان والرومان يستظهرونهُ من اولهِ الى آخرهِ ثم عنيت الامم الاوربية الحديثة بترجمتهِ ونظمهِ حتى لقد تجد لهُ في الانكليزية وحدها تسع ترجمات مختلفة وكلها منظومة عدا الترجمات النثرية . وقد اقدم على ترجمتهِ ونظمهِ حضرة العالم الفاضل سليمان افندي البستاني منذ سبع عشرة سنة فسبكهُ في قالب عربي وعلَّق عليهِ شروحاً مستفيضة وقدَّم لهُ مقدمة مسهبة فصار ثلاثة اقسام الشعر والشرح والمقدمة نبحث في كل منها على حدتهِ

الشعر

اشعار هوميروس واخصها الالياذة دائرة معارف جمع فيها الناظم معارف الاقدمين لعهدهِ وهو بعيد عنا لا يقلُّ بُعدهُ عن ثلاثة آلاف سنة . واعرب فيها عن المنافسة القديمة بين اسيا واوربا التي لم يتقلص ظلها حتى الآن . ووصف اخلاق الناس واميالهم وكل ما يخامر النفس وما تظنهُ من عوْن الالهة لها او خذلانها اياها . ومعاني هوميروس ليست شعرية في الغالب لانها ليست صوراً خيالية ولا تصوُّرات فلسفية وانما هي حوادث واخبار وقعت حقيقةً او حكماً تتمثَّل لذهن من يسمعها او يقرأها كانهُ يراها عياناً . ولا ندري هل عبَّر عنها على اسلوب شعري بالاستعارات والكنايات او اقتصر على ايراد المعاني بالالفاظ الموضوعة لها . فان كان الثاني فالمعرّب قد حذا حذوهُ غالباً وان كان الاول فقد جاء التعريب احياناً دون الاصل من هذا القبيل . وعذر المعرّب حينئذٍ واضح وهو صعوبة ترجمة الشعر بالشعر والاحتفاظ بالمعنى كلهِ من غير زيادة ولا نقصان . ومع ذلك فقد ابدع احياناً كثيرة في الترجمة ولاسيما حيث تتحرك عواطف النفس فتحرك الاشجان كقول هكطور بطل طروادة مودعاً زوجتهُ

سوف تندكُّ باليون [1] القلاعْ وتوافينا الملمات الفظاعْ كل هذا منهُ قلبي لا يراعْ
لا اذا اميَ في الترب ثوَتْ او ابي من دمهِ السمر ارتوت او رميمَ الاخرة الارض احتوت
لا اذا الطرواد بادوا واذا خرق الزرقاء للجوّ العويل
غير ان الخطب كل الخطب آه ان تكوني في سبيَّات العداه تذرفين الدمع عن مرّ الحياه
تستقين الماء كالعبد الاسير من مسيس او ينابيع هفير تنسجين القطن والقلب كسيرْ
كل بؤس كل رزءٍ وعنا كلهُ ان حلَّ ذا الرزء قليلْ

(١) اليون بلد هكطور وعاصمة بلاد طرواده

كلهُ لا شيء ان صحَّ الصحيحْ ولديهم كنتِ والدمع يسيحْ والذي يلقاكِ بي هزءًا يصيحْ
تلكمُ زوجة هكطور الشديدْ خيرما في القوم ما قرم عنيدْ كم لهُ قرع بدرَّاع الحديدْ
تلَّ صدر الجيش تلاًّ وهنا سبيتْ زوجتهُ وهو تليلْ
فتصيحين وتصلينَ السعيرْ تستجيرين ولكن من يجيرْ ان يكن هكطور في الترب قريرْ
فلكِ الرقُّ وانواع العذابْ يا لحود الارض وار يني الترابْ قبل ان يدهمني هذا المصابْ
وانلني ايها الخطب البلى قبلما زوجيَ للسبي تنيل

وكقول اخيل بطل اليونان في رثاء صديقهِ فطرقل وقد مهَّد الشاعر لذلك تمهيدًا فقال

واما بنو الاغريق آناء ليلهم فقد لبثوا في مأتم هدَّهم هدا
وبينهم آخيل في زفراتهِ يحنُّ لفُطْرُقْل وقد أكبر الفقدا
على صدر ذاك الإلف القى اكفهُ يحاكي اذا ما احدق الاسد الوردا
كأن ببطن الغاب اشبالهُ بها خلا قانصٌ فاربدَّ واشتدَّ واحتدَّا
وهبَّ على آثارهِ بحزازة تحدِّرهُ وهدًا وتصعدهُ نجدا
فصاح ألا رباهُ واعظم موعدٍ وعدتُ منتيوسًا ولن اصدُقَ الوعدا
بمنزلهِ عاهدتهُ لافنطس اعيد ابنهُ من بعد ان يقهر الضدَّا
ويهدم اليونا ويرجع غانمًا وهيهات زفس كل آمالنا اسدى
باليون قد خطَّ القضاء بان من دماء كلينا الارض محمرَّةً تندى
افطرقلُ مذ سيقت لذا الترب اعظمي وبعدك لي قد خطَّ ان انزل اللحدا
فلستُ متمًّا مأتمًا لك قبل ان اذيق الردى هكطور قاتلك الجلدا
وشكَّتهُ تلقى لديك ورأسهُ فاذكي لك النيران مدَّخرًا حمدا
ومن حولها اثني عشرَ رأسًا بصارمي اقضب من طروادة فتيةً مردا
فظلَّ اذًا ملقى لدى الفلك ريثما ابرُّ فذا عهدي ولن أُخلف العهدا
فكم ثمَّ طُروادية دردنيَّة سبينا بدار بأسنا فوقها امتدَّا
يحنَ عليك اليوم والليل كلهُ ويلطمنَ بضَّ الصدر والنحر والخدَّا

وكقول اندردماخ زوجة هكطور في رثائهِ لما قتلهُ اخيل

متَّ بعلاهُ بالشباب النضيرِ وانا ايمٌ بهذي القصور
وهنا الطفل طفلنا ونتاج الـ حزن لن يدركنَّ آهِ الشبابا
قبل ذاك الزمان خلت الديارا اصبحت نضرةً وباتت دمارا ان تمت لاسواك يحمي الذمارا

وجميع البنينَ والاطفالِ والعذارى والمحصنات الخوالي
سوف يمسين في الخلايا سبايا وانا بينهنَّ وا اوصابا
وكذا انت يابُنيَّ ستمسي حيث امسي تعنو بذلٍ وبؤسٍ لفتى ظالم عتا ذي بأسٍ
او عدوٍّ سيم الوبالا الثقيلا يتوخى لك الحمام الوبيلا
بكَ يلقي من فوق برج فيشفي غلةً كادت النفوس الغضابا

او حيث يدعو المقام الى اظهار الفصاحة كما في خطب نسطور · من ذلك قولهُ

سموتَ ذيوميذٌ بباسكَ مثلما برأيك في الاتراب قد كنتَ ساميا
فما لكَ في الاغريق لومة لائم ولكن فصل القول ما زال خافيا
فانت فتى لو قيس عمرك لم يكن لاحدث ابنائي الصغار مساويا
على انك اخترت الحصافة منهجاً وصيدَ السرى خاطبت بالحق عانيا
واني وحسبي الشيب دونك مفخرًا سيجمع اطراف الحديث كلاميا

او حسن البيان كما في وصف ما حلَّ باخيل من الجزع على موت صديقهِ فطرقل كقولهِ

وظلَّ اخيلٌ والكرى قاتلُ الاسى بذكراهُ فطرقلاً يؤرقهُ السهدُ
ينوح على إقدامهِ وزعامهِ وكلُّ سجاياهُ لخاطرهِ تبدو
يكبُّ فيستلقي يسيرًا فينثني على صفحتيهِ والهواجس تشتدُّ

او الشجاعة وشدَّة الباس كقولهِ في وصف معركة

تدفَّقتِ الاجناد ايَّ تدفُّقِ الى الحرب تجري فيلقاً اثر فيلقِ
بهم اولياءُ الامر يُسمَعُ امرهم وهم لاهوى نفس ولاصوت منطقِ
وفوق الصدور الطامحات تألقت صوارمهم والسمر ايَّ تألُّقِ
ولكنما الاعداءُ قام ضجيجهم كسرب شياهٍ في الحظائر قلَّقِ
اذا ما استُدرَّت والسخال ثغت لها لهنَّ رنت تثغو بانةِ مشفقِ
فاوزاعهم من كل فج تألفوا بعدَّة لسنٍ واختلاف تخلُّقِ
ولما تدانوا والنفوس سواخط تحرَّقت الاجناد ايَّ تحرُّقِ
نصول تلاقت في صدور تدججت وكرٌّ يواري يلقاً فوق يلمقِ

وبلغ الشعر غاية من السهولة والانسجام في النشيد الثاني والعشرين الذي وصف فيهِ الناظم مقتل هكطور فمن ذلك قول فريام يحذر ابنهُ من لقاء اخيل

فلذ للسورِ لذْ عجلا حبيبي وائقِ الفشلا

وذُدْ عن جندِ طُروادٍ ونسوةِ جندها النبلا
ولا تتعرضنَّ إلى الحمام بوجه آخيلٍ
فتلبسهُ حلى المجد الأَثيلِ ويُبلغُ الأَملاً
ورقَّ لوالدٍ همٍّ نصوح زفس قدَّر أَن
يبيد بعيد أَن يدهاهُ كلٌّ بلا واي بلا
ابادة ولدهِ طرًّا وذُلٌّ بناتهِ أَسرا
ونهبُ منازلٍ فيها العدوُّ يعيثُ منتشرا

وتوسُّل هكطور لاخيل لكي لاً يمثّل القاتل منهما بالمقتول

ونستشهد بني الخلدِ على الايمان والعهدِ
فهم خيرُ الشهودِ على الورى في القرب والبعدِ
لئن اوتيتُ نصرًا من لدى زَفس فحسبي ان
تموت وان تجرد من زهيّ سلاحك الصلدِ
ولكني ارُدُّك للاخاءة لاَ هوانَ ولا
أَذىً عدني إذا في مثل هذا صادق الوَعدِ »
فأَحدق فيهِ شزْرًا يلتظي آخيل قال « صه
ولا تذكر وفاقًا لا وفاق بيننا ذُكراً

وقول هكطور لما يئس من عونِ الاله وايقن بالهلكة

فلا نجوى وزفس قضى وآفلون ما اعترضا
وكم قد اوليانيَ قبلُ ظل حماية ورضا
ولكن القضاء اتى فاهلاً بالقضاء فلا
مرَدّ وخلتهُ ما حطَّ من هممي ولا خفضا
اموتُ بعزةٍ تترى لاجيالٍ فأَجيالِ
ومجد باذخ بي فوق ابراج العلى نهضا
وسلَّ حسامهُ من غمدهِ بلباقة ومضي
بقلب لا تغيرهُ الخطوب ولا يري الغيرا

والشعر مشكول كلهُ شكلاً كاملاً لكي لا يقع فيهِ اقلُّ التباس
الاَّ ان هوميروس ذكر ميات من الاعلام المنقولة والمرتجلة وهي مأْلوفة عند اليونان او

صارت مالوفة بشعرهِ وكذلك صارت عند الاوربيين فلا يثقل عليهم سمعها والنطق بها وهي على الضد من ذلك عند ابناء العربية غريبة ثقيلة وتكثر هذه الاعلام في البيت الواحد احياناً حتى يعسر على القارئ العربي النطق بهِ كقولهِ

او إكسذٍ اوثيبسَ بنِ أَغيس من قد كان مثل الخالدين رزينا

وكقولهِ صفحة ٦٧١

كذا ابن هِرطاقسٍ آسيُسُ البطَلُ من ثقَّف الجرد للهيجاء يشتعلُ

وآكماسُ ابن انطينور يصحبهُ اخوهُ ارخيلخٌ كانا بصحبتهِ

فان قيل هل من سبيل آخر لذكر هذهِ الاعلام على غير هذهِ الصورة قلنا اننا لو حاولنا ترجمة شيء فيهِ كثير مثلها لتجنبنا ذكرها على قدر الامكان اما باقامة المضمر مقام المظهر حيث يغني عنهُ او باغفالها مطلقاً حيث لا تدعو الحال الى ذكرها ولعل المترجم فعل ذلك ولكن بقي منها شيءٌ كثير في بعض الاماكن يملهُ القارئ

ثم ان المترجم عبَّر بالفاء عن الباء اليونانية غالباً فقال افلون بدل ابلون وفاريس بدل باريس وفرغموس بدل برغموس وحبذا لو جارى الذين عرَّبوا هذه الكلمات قبلهُ بالباء لان الاسماع الفتها كذلك . واكثر من الكلمات اللغوية واختارها احياناً حيث لا يدعو الوزن ولا القافية اليها كقولهِ في الصفحة ٣١٥ " او مت وبضعك لم يعقد " فانهُ كان يحسن ان يقال وعرسك. وكقولهِ في الصفحة ٣٣٣ "مع نجي مدام ملآن" فان كلمة زق تقوم مقام نجي وهي اشهر منها واصلح في هذا المكان لكنهُ فسَّر في الحواشي اكثر ما اوردهُ من الغريب فلا يتعذَّر فهم المراد على طالب الفائدة ثم فسر الغريب كلهُ في معجم الحقهُ بالكتاب

وقد جاءت الالياذة في نحو احد عشر الف بيت ولذلك رأى المترجم ان لا يقتصر على انواع النظم المشهورة مثل القصائد والتخاميس والاراجيز بل سلك مسالك اخرى كما رأيت في الامثلة المتقدمة دعاها باسماء رآها تنطبق عليها كالمثنَّى والمربَّع والمثمَّن والموشح المسبَّع والموشح المثمن والموشح المردف وهلمَّ جرًّا فجاءت بهذا التنويع اكثر طلاوة واوقع في نفوس القراء

وجملة القول ان العربية التي عجز ادباؤُها قبلاً عن مجاراة اكثر اللغات الاوربية بل عن مجاراة السريانية في نقل اشعار هوميروس اليها قد غنيت الآن بهذه الترجمة . وزد على ذلك ان هذه الترجمة تفوق كل ترجمة شعرية تقدمتها في انطباقها على الاصل وفي ما تضمنتهُ حواشيها من الشروح والشواهد العربية كما سيجيء في الجزء التالي وفي ان فصولاً كثيرة منها جاءت من ابلغ ما نظم في العربيَّة كما رأيت في الامثلة المتقدمة

ما احب وما اكره

وهو مثلث انتقادي حكمي

تكشَّفَ سرُّ اخلاق البريَّه لفكري بعد اعنات الرويَّه
فلا نفسٌ من السوأى بريَّه ولا قلب على عهدٍ مقيمُ
وحيث مطامع الدنيا دنيه سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ من المعاشر كل خالِ من التدليس محمود الخصالِ
يدومُ على ودادك غير سالِ ولو أودى بك الدهر الظلومُ
وحيث رأيت ذاك من المحالِ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ كل محتال يعيدُ ثناك وبين اضلعهِ الحقودُ
فان هو نال يوماً ما يريدُ تغير ذلك الوجه الوسيمُ
وفيما انهُ أمرٌ بكيد سئمتك ايها العيش الذميمُ

أحبُّ المجرمين اذا اقرُّوا بفعل السيئات ولو اضرّوا
وأُوقن انهم لم يستمرُّوا عليها دون اسباب تضيمُ
واذ لابدَّ من سببٍ يجرُّ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكره من رفاقي المدَّعينا ويحثهمُ بما لا يعلمونا
فان ساءلتهم لا يعرفونا سماك البحر تغرق أو تعومُ
ولما شاع هذا العيث فينا سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ الراغبين عن الجدالِ بأمر الدين فهو من المحالِ
وقد يزدادُ من قيلٍ وقالِ الى هيجاء مرتعها وخيمُ
وحيث رأيتهُ صعب الزوالِ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ كل من صلَّى وصاما وزار القبرَ والبيتَ الحراما
ولم يلبثْ ان ارتكب الحراما بفعل المنكرات كما يرومُ
وحيث رأيتهُ داءً عقاما سئمتك ايها العيش الذميم

احبُّ من الجماعة من اراهُ يعيش بقدر ما رزق الالهُ
فينفق دخلهُ في مشتهاهُ غنيًّا ان يساعدهُ لئيمُ
ولما ضلَّ فتيتنا وتاهوا سئمتك ايها العيش الذميم

واكرهُ من يفتّلُ شاربيهِ ويفرق شعرهُ عن جانبيهِ
ويسرف فوق طاقة والديهِ على ما ليس يجهلهُ العمومُ
واذ لا رادع من اصغريهِ سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ من الملا من لا ينمُّ ولا يفشي الحديثَ ولا يذمُّ
ولا يلقي الشقاق ولا يهمُّ أزيدٌ ماكرٌ او مستقيمُ
ولما كان ذلك لا يتمُّ سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ من يقول انا فلانُ فلا اعبا اذا جار الزمانُ
رجال ابي اسودٌ لا تهانُ وريع محلنا وافٍ عظيمُ
ومن حيث التكبر مستهانُ سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ الشعرَ مدعاة المسره ومن يروي على أذنيَّ شعره
واني وان أخذت عليهِ اجره فارسلهُ كما مرَّ النسيمُ
ولما كان جلَّ النظم سخره سئمتك ايها العيش الذميم

واكرهُ زمرة المتشاعرينا بسرقتهم لشعر الاقدمينا
يشدُّون الرحال ليسبقونا فبعضهم يزلُّ ولا يقومُ
واذ لا مخلص ممَّا بلينا سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ الحبَّ ان هو كان عذري فتقبل عاذلاتي فيهِ عذري
ولا ريب بان الحبَّ فطري ولا قلب امرىءٍ منهُ عديمُ
ولكن من هوى ابناء عصري سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكرهُ في الديانات الرئاسهْ فاكثرها لاغراض السياسهْ
كفى كهنوتنا لقب القداسهْ وليس يهمهُ الحق الهضيمُ
واذ كتب القضاء لنا التعاسهْ سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ العدل ينشأ في البلادِ فنأمن شرَّ اصحاب الفسادِ
وتنكفُّ الطغاة عن التمادي وتصطلح الشؤون وتستقيمُ
ومذ رضيتْ جفوني بالسهاد سئمتك ايها العيش الذميم

واكره كل مثرٍ لا يجودُ وقد سئمت خزائنَهُ النقودُ
وخطٌّ على محياهُ الجحودُ الاهي المالُ لا المولى الرحيمُ
وإذ هو مع سفالتهِ يزيد سئمتك ايها العيش الذميمُ

احبُّ من الجرائد ما تضحي صحائفها على الخبرِ الاصحِّ
ولا تلوي على مدح وقدح يبرهنُ ان مبدأها عقيمُ
وإذ لم القَ من يصغي لنصحي سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكره من صفات مراسيلها اطالتهم مجال القول فيها
وجل شروحهم لو لخصوها عُبيدٌ مات او زيد سقيمُ
ولما كنت بين مطالعيها سئمتك ايها العيش الذميمُ

احب من الرجال الساهرينا علي اصلاح تربية البنينا
فلا يدعونهم يتطوحونا لان الخيل تمسكها الشكيمُ
ومن جرّاء ما يتكبدونا سئمتك ايها العيش الذميمُ

احب البحث عن سلمى وميّا فتضطرب اليراعة في يديّا
واسمع حسَّ صوتٍ داخليًّا يقول اخرس فشخصهما كريمُ
ولما لم يكن حكمي عليًّا سئمتك ايها العيش الذميمُ

واكره ان أجيلَ الفكرا كثرْ مخافة ان يقولوا قد تهورْ
وفي ما قد ذكرتُ لمن تذكرْ فوائد دونها الدرُّ النظيمُ
فان لم تُعتبرْ فالله اكبرْ سئمتك ايها العيش الذميمُ

بيروت في ١٦ ايار سنة ١٩٠٤ جرجي نخله سعد

الراديوم وتوابعهُ

اشعة أُخرى من الاجسام المشعة

وجد الاستاذ رذرفرد سنة ١٨٩٩ انهُ ينبعث من الاورانيوم والثوريوم والراديوم اشعة أُخرى تختلف عن الاشعة الاولى بانها اقل منها نفوذاً وبان المغنطيس لا يحرفها عن سيرها فسماها اشعة الفا من حرف الالف اليونانية وسمى الاشعة الاولى بيتا وهي الباء اليونانية. واذا وضع على الجسم المشعّ ورقة رقيقة من معدن الاليومنوم حجب اشعة الالفا ولم يحجب اشعة البيتا واشعة البيتا اضعف من اشعة الالفا في جعل الغاز موصلاً للكهربائية

وكُشف نوع ثالث من الاشعة سمي باسم الجما نسبة الى الجيم اليونانية ولذلك سنطلق على هذه الاشعة اسم ا وب وج فنقول اشعة ا واشعة ب واشعة ج. واشعة ج اشد نفوذاً من اشعة ب ولكن لا يعلم من امرها الاَّ القليل حتى الآن

ماهية اشعة ا

ظُن في اول الامر ان اشعة ا هي نفس اشعة رنتجن لان المغنطيس لا يحرفها كما لا يحرف اشعة رنتجن ولأَنها مثلها في جعل الغازات موصلة للكهربائية. لكن الاستاذ رذرفرد ابان في العام الماضي انهُ اذا كان المغنطيس قويًّا جدًّا حرفها قليلاً وكذلك تنحرف بالمجرى الكهربائي اذا كان شديداً جدًّا لكن انحرافها في الحالتين مخالف في جهتهِ لانحراف اشعة ب ولا يفسَّر ذلك الاَّ بان اشعة ا مؤلفة من دقائق تخرج من المواد المشعة ولكنها تكون حاملة الكهربائية الايجابية كما ان اشعة ب تكون حاملة الكهربائية السلبية

ثم حسب جرم الدقائق المؤلفة منها اشعة ا وحسب سرعتها وذلك من مقدار حرفها للمغنطيس فظهر ان جرم الدقيقة منها يساوي جرم جوهرين من جواهر الهيدروجين الفردية بخلاف الاشعة السلبية التي الدقيقة منها اصغر من دقيقة الهدروجين الف مرة فالدقيقة من دقائق اشعة ا اثقل من الدقيقة من دقائق اشعة ب الفا مرة ولذلك لا تنفذ الاجسام بسهولة كاشعة ب ولكن سرعتها ليست قليلة فانها ٢٠٠٠٠ ميل في الثانية من الزمان اي اكثر من عشر سرعة دقائق ب ولذلك فقوة صدمها للاجسام التي تقع عليها اعظم من القوة التي تصدم بها اشعة ب الاجسام التي تقع عليها وهي اذا وقعت على غاز مزقتهُ تمزيقاً

ما يرى من الراديوم

كل الادلة العلميَّة التي تقام على فعل الراديوم لا تؤثر في النفس تأْثير ما يرى من فعلهِ.

فاذا وضعت قطعة منهُ في مكان مظلم اضاءَت من نفسها كالحباحب (سراج الليل) واذا ادنيت منها بعض المواد مثل سلكات الزنك وكبريتيده اضاءَت تلك المواد ايضاً . واذا نظر اليها بالميكرسكوب حينئذٍ ظهرت فيها نقط صغيرة منيرة تتألق كالكواكب او كالنيازك المتساقطة من السماء او كالشرر المتطاير من الحديد المحمى اذا طرقتهُ بمطرقة

حرارة الاجسام المشعة

اذا كانت اشعة النور تنبعث من الاجسام المشعة على الدوام فلا يستغرب ان تتولد منها اشعة الحرارة ايضاً او ان تكون حرارتها اشد من حرارة الاجسام المحيطة بها وقد ثبت ذلك في الراديوم وظهر ان حرارتهُ تكون دائماً اشد من حرارة الاجسام المحيطة بهِ درجة او درجتين بميزان سنتغراد ولا يبعد ان تكون قوة اشعاع الحرارة موجودة ايضاً في سائر العناصر المشعة كما هي موجودة في الراديوم ولو كانت فيها اقل مما هي فيهِ

سبب هذا الاشعاع

لم يعلم سبب هذا الاشعاع حتى الآن ولكن يظهر من بعض الدلائل ان السبب سيعلم قريباً . ومهما يكون نوعهُ فهو ليس فعلاً كيماويًّا من الافعال المعروفة لان مقدار الاشعاع متوقف على مقدار العنصر المشع من غير نظر الى المواد المتحدة بهِ مهما كان نوعها ومقدارها . فالقمحة من الثوريوم تكون على صورة نيترات او كلوريد او كبريتيد ومع ذلك يبقى مقدار اشعاعها على حالهِ . وكذلك لا يتوقف مقدار الاشعاع على حالة الجسم الطبيعية فقد يوضع في مكان حار او بارد ومع ذلك يبقى اشعاعهُ واحداً فهو خاصة من خواص الجواهر كالثقل لا يتغير بتغير احوالها الكيماوية والطبيعية . كان الفعل الذي يجعل الاجسام المشعة تشع اشعة ا او اشعة ب يتعلق بطبيعة الجواهر نفسها او بالقوة المدَّخرة فيها وهذه اول مرة وصل العلم فيها الى هذه القوة

مجهول الاورانيوم

وقد ثبت ما تقدَّم من حدوث تغير في جواهر المادة نفسها باكتشافات ابتدأ بها السر وليم كروكس منذ سنة ١٩٠٠ وذلك لانهُ اذا رُسّبَ نيترات الاورانيوم بكربونات الامونيوم ثم زيد كربونات الامونيوم حتى انحلّ نيترات الامونيوم بقي في السائل راسب فيهِ مقدار كبير من فعل الاشعاع الذي في الاورانيوم فسماهُ مجهول الاورانيوم لانهُ لم يعلم حقيقتهُ بالبحث الكيماوي . ثم وجد ان نيترات الاورانيوم الذي فقد جانباً من قوتهِ يسترد قوتهُ كلها بعد زمن غير طويل والمجهول المشار اليهِ يفقد قوتهُ

وامتحن الاستاذ رذرفرد الثوريوم فوجده مثل الاورانيوم من هذا القبيل ووجد ايضاً ان الجسم المجهول يفقد قوة الاشعاع في نفس الوقت الذي يستردها فيهِ الجسم الاصلي فاذا رُسب كل ما يمكن ترسيبهُ من مجهول الاورانيوم وترك الاورانيوم الاصلي حتى يسترد نصف قوتهِ التي خسرها اولاً فمجهول الاورانيوم يفقد نصف القوة التي كانت فيهِ حينما رسب او يصير نصف ما كان اولاً . ووجد اختلافاً بين الثوريوم والاورانيوم في الزمن الذي يفقد فيهِ مجهولهما قوتهُ فان مجهول الاورانيوم يفقد نصف قوتهِ في نحو ٢٢ يوماً واما مجهول الثوريوم فيفقد نصف قوتهِ في اربعة ايام

مجهول الراديوم

ثم اتَّضح انهُ يخرج من الراديوم جسم فيهِ قوة الاشعاع ويفقد قوتهُ هذه رويداً رويداً ووجد الاستاذ رذرفرد ان هذا الجسم غاز ويمكن فصلهُ عن الراديوم باحمائهِ او باذابتهِ في الماء فيخسر الراديوم ثلاثة ارباع قوة الاشعاع التي كانت فيهِ ولا يبقى فيهِ منها الاَّ الربع . والثلاثة الارباع تظهر في الغاز الذي انفصل عنهُ . واذا جرى هذا الغاز في انبوب زجاجي طويل اكسبهُ قوة الانارة فصار كأَن فصفوراً جرى فيهِ . ويمكن وضعهُ في القناني ومراقبة قوتهِ من يوم الى يوم . وقد ظهر انهُ يفقد نحو نصف قوتهِ في اربعة ايام وفي هذه الاربعة الايام يستردُّ الراديوم نصف القوة التي خسرها واذا وضع في انبوب وغمس في الهواء السائل تكاثف عند الدرجة ١٥٠ تحت الصفر بميزان سنتغراد . ولهُ طيف خاص بهِ فهو يتولد من انحلال جواهر الراديوم كما يتولد مجهول الثوريوم من انحلال جواهر الثوريوم ومجهول الاورانيوم من انحلال جواهر الاورانيوم لكنهُ مثل ذينك المجهولين في عدم الثبات لانهُ يخسر قوتهُ كلها بعد زمن غير طويل ويستحيل الى شيءٍ آخر

انحلال الجواهر

اتضح مما تقدَّم ومن امور اخرى لانطيل الكلام ببسطها ان جواهر الاجسام المشعة آخذة في الانحلال كما يظهر من خروج اشعة ا واشعة ب منها دواماً ومن خروج جسم مشع منها . وهنا مجال واسع للنظر والتعليل . ويظهر لاول وهلة ان العناصر الثلاثة المشعة وهي الاورانيوم والثوريوم والراديوم جواهرها اثقل الجواهر المعروفة فان ثقل جوهر الاورانيوم ٢٤٠ وثقل جوهر الثوريوم ٢٣٢ وثقل جوهر الراديوم ٢٢٥ او ٢٥٦ ولا تشابه بين هذه العناصر الثلاثة في غير ذلك . ومعلوم ان جواهر الاجسام تدور على نفسها دوراناً سريعاً مستمرًّا . والظاهر ان جواهر هذه العناصر الثلاثة يتمزق بعضها بسرعة دورانها فتنفصل عنها اولاً الدقائق المؤلفة

منها اشعة ا ثم ينفصل غيرها وغيرها الى اربعة انواع او خمسة انواع من الدقائق حتى اذا تمَّ انفصال الدقائق الموجودة في الجواهر المتجزئة بطل الاشعاع من الجسم الى ان تتعرض جواهر اخرى منهُ للتجزوء وتشرع تتجزأ فتعود قوة الاشعاع تظهر منهُ وهلمَّ جرًّا

تولُّد الهاليوم

لما رأى الاستاذ رذرفرد ذلك انبأ منذ اكثر من سنتين بتولد الهاليوم من العناصر المشعَّة ولم تمضِ سنة على هذا القول حتى وجد ان اشعة ا تشبه الهاليوم . ثم ان بعض الاشعة التي تتولد من الراديوم هي نفس عنصر الهاليوم

حياة الراديوم

ظهر مما تقدَّم ان هذه العناصر الثلاثة وهي الاورانيوم والثوريوم والراديوم آخذة في الانحلال ويتولَّد منها عنصر واحد وهو عنصر الهاليوم كأن جواهرها مؤلفة منهُ لكن لم يظهر بادق الموازين انها تخسر شيئًا من وزنها لا لانها لا تخسر شيئًا بل لأن خسارتها طفيفة جدًّا لا تؤثر في ادق الموازين ولكن . ما لا يعلم مقدارهُ بالوزن يعلم بوسائط اخرى اخصها اشعاع الحرارة منهُ ومن دقائقهِ وقد علم من ذلك ان حياة الراديوم لا تطول اكثر من مليون سنة اي انهُ يخسر كل قوتهِ في هذه المدة اما حياة الاورانيوم والثوريوم فاطول من حياة الراديوم جدًّا لان الاشعاع منهما اقل من الاشعاع منهُ مليون مرة

تحوُّل العناصر

اذا صح ما تقدَّم فتحوُّل العناصر امر محقق ولكنهُ يقضي بتحول العناصر الثقيلة الجواهر الى عناصر خفيفة الجواهر فيجري على ضد ما ظن اهل الكيمياء فاذا امكن التحول بين النحاس والذهب فالذهب يصير نحاسًا ولا يصير النحاس ذهبًا . ولكن لا يبعد ان تكشف قوة طبيعية تركّب البسائط بعد انحلالها وتؤلف منها اجسامًا ثقيلة كما تتركب الاجسام الحية من البسائط فان وجود الراديوم بجواهرهِ الثقيلة وما تقدم من انهُ لا يقيم اكثر من مليون سنة يدلان على انهُ تألف منذ عهد بعيد من جواهر اخف منهُ ان ثبت ذلك وعرف السبيل اليهِ فلا يبعد ان تتحقق احلام القدماء اصحاب الكيمياء

تحقُّق ذلك

رأينا بعد كتابة ما تقدَّم وتقديمهِ للطبع ان بعض الباحثين في طبائع الراديوم رأوا ما يدلُّ على انهُ يتولَّد من الاورانيوم ولكنَّ تولُّدهُ منهُ بطيء جدًّا وسنزيد ذلك بيانًا في جزء تالٍ

مقتطفات من تقرير اللورد كرومر

ميزانية ١٩٠٤

اطلت الكلام في تقريري الماضي على السياسة المالية التي لم تحد الحكومة عنها في العشرين سنة الماضية · وابنت هناك ان الحكومة احلَّت الاصلاح المالي المقرون بتخفيف الاثقال عن كاهل المموّلين المحل الاوَّل في سياستها هذه نخصت كل ما يتوفر عندها من الاموال الطائلة بالاعمال العمومية ذات الريع والربح وخصوصاً اعمال الصرف والري واما الاصلاح الاداري فلما كان اجراؤُه لا يأتي الاَّ بانفاق المال الكثير عليهِ بلا تأخير احلتهُ المحل الثالث . وانا ازيد الكلام الآن على الاسباب التي اقتضت اتباع الحكومة لهذه الاسباب والنتائج التي نتجت عن اجرائها لها فاقول

كانت المسائل التي يطلب حلها سنة ١٨٨٣ كثيرة لا يحصى عددها على اختلاف اهميتها وكانت البلاد في غاية من الفوضى والارتباك بسبب طول ما قاست من فساد الاحكام وبسبب الحالة الخصوصية التي كانت فيها حينئذ . فكان المجال لاختيار المسائل التي تقتضي عناية المصلحين فسيحاً يتيهون فيهِ · ولم يكن غنيٌّ والحالة هذه عن معرفة ما اشبههُ بمركز ثقل حالة البلاد في ذلك الحين · لانهُ ان لم يكن الغرض المقصود بلوغهُ واضحاً جليّاً وان لم يكن السعي الى ذلك الغرض دائماً متواصلاً مدة اعوام طويلة فالحكومة تصير في افعالها كمن يتلمس طريقهُ تلمساً ويبني عملهُ على التجربة والامتحان دائماً فتعبث بها رياح الاحوال الطارئة وتميل بها تغيرات الرأي العام من جهة الى جهة . واما معرفة ما سميتهُ "بمركز ثقل الحالة" فكانت سهلة جدًّا اذ قضايا المملكة او الامارة ولا سيما القضايا المالية منها سهلة الادراك جدًّا مهما كان اجراؤُها عسرًا . لان الرابطة الوحيدة التي كانت لذلك العهد بين الحاكم والمحكوم في بر مصر كانت من جهة الحاكم الاتكال على القوة الفائقة الساحقة ومن جهة المحكوم الخوف الناشئ عن العسف في استعمال تلك القوة وعليهِ يقال بالاجمال ان الغرض الذي كان يقصد السعي اليهِ هو وجود رابطة جديدة بدلاً من الرابطة القديمة التي زادت في الشدة حتى انتجت العصيان والثورة اذ من يظن ان الحركة العرابية لم تكن سوى تمرد عسكري يخطئ في ظنهِ . وكان يشترط في هذهِ الرابطة الجديدة ان تقوم بثلاثة امور : رضى جمهور الاهالي . وازدياد ثقتهم تدريجاً بحسن مقاصد حكومتهم . وتمكين الاقتناع في نفوسهم بان حكومتهم حكومة قوية ولكنها تستعمل قوتها على وجه تخالف لما كانت تستعملهُ سابقتها وظاهر ان الاصلاح المالي كان

احسن واسطة لاستيفاء هذه الامور كلها لا سيما وان الحكومة كانت مصرية اسماً باعتبار الكل وفعلاً باعتبار الجزء ولكنها كانت تسير بارشاد النفوذ البريطاني ضرورة فبالنظر الى العناصر الاجنبية التي فيها لم يكن بينها وبين الهيئة المحكومة جوامع كالجنس والدين واللسان والعادات مما يجمع بين الهيئات الاجتماعية عادة

غير انها وان تكن قد عدمت هذه الصلات والجوامع فقد بقي المجال فسيحاً امامها لوجود ما يسدُّ مسدَّ ذلك اولاً بترقية احوال جمهور الاهالي المادية واخيراً بترقية احوالهم الادبية. واقول بلا ادنى تردُّد ان ما فعلتهُ الحكومة في العشرين سنة الماضية من هذا القبيل قد انتج النتيجة المطلوبة فان اهل مصر اصبحوا الآن في حال من الرضا واليسر والرخاء والهناء لم يروا مثلها قط في ماضي تاريخهم وقد دارت الدائرة على قوات المعارضة والتأخير فانخذل المعارضون انخذالاً عظيماً في كل جهة تقريباً وولى نظام الحكم الشخصي (الاستبدادي) الذي كان متبعاً في هذه البلاد وكان يجد من حزب المعارضة والتأخير اعظم نصير واقوى ظهير وضُرب ضربة قاضية لا قوة لهُ على القيام منها وارجو واظن انهُ لن يجد طول دهرهِ الى القيام منها سبيلاً

ولا يزال هناك مسائل عظيمة عمومية محتاجة الى الحل ومستقلة عن المسائل الصغيرة الخلافية. ولا بد من ان تجدَّ مسائل اخرى ايضاً كلما مرَّت الايام وازداد المصريون حبًّا للتقدم العصري فانهم لا يزالون في حاجة الى تعلم حقيقة لا غنى عن علمها وهي انهُ يمكن للقانون ان يكون عظيم القدرة والقوة من غير ان يكون مستبدًّا او منقلباً مع الاهواء وكذلك لا غنىً لمعشر الموظفين في الحكومة عن تعوُّد استعمال السلاح الذي يقلدهم اياهُ نظام الحكومة المطابق لروح التمدن لانهم لم يألفوهُ الاَّ قليلاً حتى الآن. ولا غنىً لهم ايضاً عن تعلم هذا الامر وهو ان هناك حدًّا متوسطاً بين السلطة المطلقة من كل قيد وعنان وبين الضعف الذي يحمل صاحبهُ على اجتناب كل مسأولية. وايضاً ان روح الحرية الذي دب في الصدور منذ عهد قريب وجعل يخترق القلوب والعقول قد يؤَدي الى العسف وركوب متن الشطط في السلوك من جهات شتَّى. فلا بد من الصبر والتأني ومر الزمان والجري على مبادىء الحرية والعدل والاعتدال في حل المسائل التي يمكن ان تنشأَ عن هذه الاسباب ونظائرها بلا التجاء الى الوسائط المزعجة والعلاجات المجهضة. وعلى كل حال قد مهد السبيل لحلها بازالة الاسباب التي كانت تترك كل طبقة من طبقات الهيئة الاجتماعية المصرية في حال القلق وعدم الرضى واستبدالها بحال الرضى العام فعلى هذا الاساس الوطيد يقام البناء ويصلح ويحسن ويكمل ويتقن بحسب مقتضى الزمان والاختبار

وانتقل الآن من هذه الملاحظات العمومية الى النظر في ميزانية السنة الجارية فاقول ان الغالب على الاذهان هو ان التفاصيل المالية خالية من كل لذة وطلاوة وارى ان ذلك مسبب عن عدم الانتباه الى الحقائق المستترة وراء تلك الارقام المجردة وعدم قدرها حق قدرها. والّا فكل غرش يضاف في مصر الى مصروفات الحكومة ويصرف بالحكمة على المعارف او القضاء او اصلاح السجون وما شاكل يفيد ان مصر خطت خطوة صغيرة في سبيل الارتقاء المادي والادبي وانها تقدمت في تنفيذ السياسة العمومية التي وصفتها بوجه الاجمال في ما مرَّ. فالمجال واسع لاعمال قوة الخيال والتصور حتى في الميزانية المحتوية على ارقام لا تؤثر في النفس تأثيرًا شديدًا الّا على شرط فهم معناها ومغزاها حق الفهم

اما ميزانية ١٩٠٤ فليست مما يستوقف البصر اويهيج الخاطر ولكنها موجبة لمزيد الرضى والاستحسان من الوجه التالي. فقد قلت في تقرير السنة الماضية "والمؤمل انهُ من سنة ١٩٠٥ وما بعدها يكون للاصلاح الاداري من حيث توقفهُ على السياسة المالية محل في بيان الحكومة اظهر مما كان لهُ فيما مضى" فجاءت الحالة المالية لحسن الحظ مسوغة للتعجيل في اتمام ما سبق التلميح اليهِ في ذلك القول فان ميزانية السنة الجارية تزيد مصروفات دواوين الحكومة ومصالحها المختلفة زيادة جوهرية لان مجموع ارقام تلك الميزانية كما يأتي

الايرادات	١١٥٠٠٠٠٠ ج م
المصروفات	١١٤١٠٠٠٠ ج م
فالزيادة	٩٠٠٠٠ ج م

وقد كانت العادة في الاعوام الماضية ان تقدر ايرادات الحكومة في ميزانياتها بمزيد الاحتراس والحذر ولكننا رأينا في اواخر سنة ١٩٠١ انهُ قد قام من الادلة في السنين التي قبلها ما يكفي للبرهان على ان ازدياد الايراد فيها لم يكن ناتجًا عن اسباب عرضية او وقتية وانهُ ينتظر ان يزداد اكثر من ذلك في المستقبل ايضًا. فلذلك زاد الاعتماد على التفاؤل بالخير وحسن الظن بالمستقبل في ميزانية هذه السنة عمَّا كان معتادًا في السنين الماضية

ولا خوف من ذلك اذ ما ثبت بالاختبار في السنتين الماضيتين ودلائل اليسر والرخاء في البلاد تؤيد الرأي بازدياد الايراد وعليهِ لا أرى باسًا بتقدير السر الدن غورست للايراد بمبلغ ١١٥٠٠٠٠٠ ج . م اي بزيادة ٥٠٠٠٠٠ ج . م عما قدرهُ بهِ في سنة ١٩٠٣ فان بعض هذه الزيادة مسبب عن شراقي سنة ١٩٠٣ لانهُ لما جاء فيضان النيل ناقصًا سنة ١٩٠٢ ترك ١٧٥٠٠٠ فدان من اطيان الوجه القبلي شراقي فتجاوزت الحكومة عن مالها وقدرهُ ١٤٠٠٠٠ ج.م

واما في هذه السنة فمساحة الشراقي تكون صغيرة لا تذكر . فيكون الباقي من الزيادة ٣٦٠٠٠٠ ج . م وهذه تنتج عن ازدياد الايراد الطبيعي

واما المصروفات المقدرة في ميزانية هذه السنة (وهي ١١٤١٠٠٠٠ ج . م) فتزيد ٢٢٧٠٠٠ ج . م عن المصروفات التي قدرت سنة ١٣٠٣ ومن هذه الزيادة ٧٧٠٠٠ ج م من قسط الخزان السنوي وقيمة هذا القسط كلهِ ١٥٤٠٠٠ ج . م تدفع سنويًّا من الان فصاعدًا حتى يستهلك دين الخزان كلهُ ومنها ٥١٠٠٠ج م زيدت بها مصروفات مصلحة السكة الحديد والباقي يضاف اليهِ ١٠٠٠٠ ج . م توفرت من مصروفات الجيش فيصير ١٠٩٠٠٠ ج . م وبهِ تزاد مصروفات دواوين ومصالح مختلفة ذكرت بالتفصيل في مذكرة السر الدن غورست. وسأذكر كيفية توزيعهِ على تلك الدواوين والمصالح في سياق الكلام على كل ديوان ومصلحة منها

واما مصروفات السودان فقدرت بمبلغ ٣٨٠٠٠٠ ج م اي اقل مما قدرت سنة ١٩٠٢ بمبلغ ١٠٠٠٠ ج . م لان مصروفات الجيش خفضت واما المصروفات الملكية التي يأخذها السودان من مصر فباقية على ما كانت اي ١٩٦٠٠٠ ج . م ثم انهُ يدخل على مصر نحو ٦٠٠٠٠ ج . م من جمرك الاسكندرية وسواكن على البضاعة الصادرة من السودان والواردة عليهِ . فيكون صافي ما تدفعهُ خزينة مصر الى السودان ٣٢٠٠٠٠ ج . م

مجلس شورى القوانين

انشيء مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية منذ عشرين عامًا ولكننا لم نعلم مع ذلك من اختبار اشغالها ما يكفي لتقدير الخدمة التي يمكن ان يخدما القطر المصري بها في المستقبل تقديرًا يعول عليهِ لان ما عبر عنهُ منشئهما الشهير المرحوم اللورد دفرن بقولهِ "روح العصر الاستحالي" يفعل فعلهُ رويدًا رويدًا فيهما

غير ان ما يكون منهما في المستقبل يتوقف كثيرًا على الجهة التي تتجه اليها عقول ابناء هذا الجيل بالقوات الادبية والعقلية التي وجهت اليها في هذه المدة الاخيرة ويتوقف كثيرًا ايضًا على مقدار نيابتهما في المستقبل عن عناصر الطبقة التي تستحق آراؤُها الاعتبار والاهتمام من طبقات الهيئة الاجتماعية المصرية . ويتوقف قليلاً على خطة الحكومة بالنسبة اليهما اما خطة الحكومة بالنسبة اليهما فقد كانت لهذا العهد بحيث يجوز للمتطرفين من المحامين عن المجالس النيابية ان يقولوا في انتقادها انها تجاوزت الحد في الرعاية الابوية . فكانت بلا ريب خطة وداد ومجاملة وان تكن الاحوال قد اقتضت في بعض الاحيان ان الحكومة تبدي عدم الاستحسان لها وقد جعلت الحكومة دأبها قبول آراء المجلس حيثما تيسر لها ذلك ولو افضى الى

اغفال رأي الاكفاء من رجالها . واما حيثما لم يكن يتيسر لها ذلك فانها كانت توضح للمجلس سبب رفضها لآرائهِ او مطالبهِ بكلام لطيف وعبارة رقيقة

الاَّ اننا قد علمنا من امر هذين المجلسين ما يكفي لاثبات قولنا ان اللورد دفرين اصاب في غرضهِ الاوَّل من انشائهما وهو ان يكونا " مجلسين استشاريين لا تشريعيين " فانهُ وان يكن قد سمي احدهما مجلس شورى القوانين فليس الغرض الحقيقي منهُ التشريع (سن القوانين) بل اعطاء المشورة في التشريع . قال اللورد دفرين والحاجة هي الى انشاء هيئة تكون قريبة من النظار دائماً لتساعدهم على اتقان التدابير التي يتخذونها وترشدهم الى حاجات البلاد ورغائبها اجمالاً

هذا و يصح ان يقال ان مجلس شورى القوانين قضى بعض الامور النافعة التي قصدها اللورد دفرين من انشائهِ وخصوصاً في هذه السنين الاخيرة . فاذا ابديت الان بعض الملاحظات عن خطتهِ في بعض الامور فلست بفاعل ذلك عن قصد الجفاء او العداء وانما قصدي تحويل انتباه اعضائهِ الى امور يمكن انهم لم ينتبهوا اليها

ان الموضوع الذي يهم المجلس خصوصاً هو الميزانية السنوية فقد ارسل تقريراً مطولاً الى الحكومة عن ميزانية السنة الجارية اشار فيهِ بالغاء ضريبة النخيل وعوائد الملاحة في النيل وبزيادة المصروف وخصوصاً مصروف الحقانية والمعارف العمومية واقام اعضاؤه الادلة على صحة ما اشاروا بهِ بعبارة معتدلة ثم تبين ان بعض ما بلغهم من التفاصيل التي ذكروها في تقريرهم خطاء

ولكننا اذا اعتبرنا كل مسألة من المسائل التي عرضوها في حد ذاتها وجدنا ان آراءهم تستحق المدح من وجوه كثيرة . على انهُ لو تيسر تدبير المال لتخفيف الضرائب فوق ما خففت فان الاختلاف يبقى في ما اذا كان تخفيف الضرائب عما طلبوا تخفيفها عنهُ اولى بالتقديم على غيرهِ . الاَّ اني لم اقصد التعرض لذلك الآن وانما قصدت ان احوّل الانظار الى ان المجلس طلب في هذا التقرير وفي سواهُ مما سبقهُ ان الحكومة تنقص ايرادها وتزيد مصروفها في آن واحد . ولا غرابة في ذلك فان بعض الهيئات النيابية قد يُنتقد عليها بمثل هذا الانتقاد في بلدان ارقى من البلاد المصرية

ومن حسن الحظ ان المالية المصرية بلغت من اليسر وحسن الحال في السنين الاخيرة ما يمكّن الحكومة من الجري على الخطة التي يشير المجلس بها اعني الغاء ضرائب كان ايراد الحكومة منها عظيماً او انقاصها وزيادة المصروفات . ولكن ذلك يقتضي غاية الحذر والاَّ خيف من تجدد الارتباك المالي الذي الحق بالمصالح المصرية العطل والضرر في الماضي . وعليهِ تقبل المبادئ العمومية التي يطلب المجلس قبولها ولكن لا تقبل العمل بها حالاً . ولا خلاف في ان زيادة

تخفيف الضرائب امر محبوب ومطلوب وزيادة المصروفات على امور كثيرة امر ضروري ولكن ليس من الصواب تقليل الايراد ولا زيادة المصروف الاَّ بعد ما يتأكد وجود المال لذينك الغرضين اذ اول امر جوهري تقتضيهِ الديار المصرية هو تأكد دوام الموازنة المالية

ثم ان المجلس قد اكثر من حض الحكومة على زيادة المال الذي تصرفهُ على المعارف . فاعدت نظارة المعارف العمومية مذكرة وارسلتها الى رئيس مجلس شورى القوانين وابانت فيها بعض الامور التي وهم المجلس فيها . وليس غرضي التعرض لهذه التفاصيل الآن وانما اذكر الامر الحقيق بالاعتبار فيها وهو ان المجلس قد اظهر في هذه الحال واحوال اخرى عديدة شدَّة اهتمامهِ بامر المعارف وقد اصاب في ذلك ولكن الزمان هو الذي يمكن ان يظهر لاعضاء المجلس ان كانت المعارف تنتج كل النتائج التي ينتظرها بعضهم منها على ما يظهر او لا . اذ العبرة هي في كيفية استعمال الجيل المقبل من المصريين لمعارفهم بعد تحصيلهم اياها . فاذا كان السابقون منهم يحوّلون عقولهم الى معالجة الاسباب التي افضت الى تأخر كثير من بلدان الشرق وانحطاطها لم تكن النتيجة الاَّ خيرًا . واما اذا فتحوا آذانهم لاقوال المتملقين ولسماع السفسطات التي يلقيها عليهم كثيرون من ابناء وطنهم الذين هم في الحقيقة الد الاعداء واشد الكارهين لتقدم المصريين كانت نتيجة تحصيل المعارف شرًّا لا خيرًا

وظني ان الباعث للمجلس على الاهتمام بهذه المسألة هو رغبةٌ في تربية جماعة من المصريين حتى يحلوا محل بعض الاوربيين في خدمة الحكومة المصرية . فهذه الرغبة تستحق المدح ولا يصح اضعافها وهي مطابقة لمقاصد السياسة البريطانية في مصر . ومن يراجع تقاريري السابقة حيث اطلت الكلام على المعارف يظهر لهُ كيف كان السعي متجهًا دائمًا الى بلوغ هذه المقاصد مدة اعوام كثيرة . ولكن يخطئ من يتوهم ان التقدم من هذا القبيل يمكن ان يتم سريعًا اذ هو غير متوقف على تعلُّم ما تعلّمهُ المدارس . ثم ان التقدم في المعارف والتعليم لا يقوم بمجرد بذل المال بل يتوقف على مقدار المال الذي ينفق جيدًا عليهِ وايضًا على كون نظام التعليم وافيًا بحاجات الامة على اختلاف طبقاتها

واقول قبل ختام هذا الفصل بيانًا لصفاء طوية المجلس ان رئيسهُ ارسل منذ مدة قصيرة كتابًا الى الحكومة المصرية يطلب منها محاكمة كاتب كراس طبع تحت رعاية جمعية المرسلين البريطانية لورود كلمات فيهِ تهين دين الاسلام فنظرت في الشكوى واقتنعت بصحتها وقبلت ان افعل ما طلب مني وهو ان اقابل وفدًا من اعضاء المجلس اكثرهم من اصدقائي فبسطوا شكواهم بتمام التعقل والاعتدال فخاطبت رئيس جمعية المرسلين في ذلك فتأسف على ما حدث

كد لي ان ما حدث لا يعاد في المستقبل . فعدلوا اذ ذاك عن طلب المحاكمة من تلقاء انفسهم
نقضت المسالة باعتدال الفريقين من غير ان يختل الاتفاق والوئام الواجب ان يكون بل
كائن فعلاً بين المسلمين والمسيحيين المقيمين في القطر المصري

الدكتور صموئيل صميلس

كل من قرأ كتاب سر النجاح الذي عرّبناه منذ عشرين سنة ونيف يشاركنا في الاسف
لى وفاة هذا الفاضل الذي لهُ على ابناء هذا العصر فضل لا ينكر

توفي في السادس عشر من شهر مارس الماضي وهو في الثانية والتسعين من عمره بعد ان
ضى سبعين سنة يعاني التأليف والتصنيف ويفيد نوع الانسان

ولد في ٢٣ دسمبر سنة ١٨١٢ وطلب الطب في مدرسة ادنبرج الجامعة وكان بليغ
لانشاء فجعل يكاتب جريدة اسبوعية في ادنبرج ثم تولى تحرير جريدة يومية لانهُ لم يكن
كتسب من صناعة الطب مايقوم بمعيشتهِ . وتزوَّج سنة ١٨٤٥ ورأى ان اجرة التحرير لاتقوم
هِ وبزوجتهِ لانها كانت مئتي جنيه في السنة فتركهُ وجُعل سكرتيرًا لشركة من شركات سكك
لحديد فتعرَّف بكثيرين من المهندسين . وكان مغرماً بالتصوير والموسيقى فاتسعت معارفهُ جدًّا
اتصل باناس من كل الطبقات اطباء ومحررين ومصورين ومغنين ومهندسين وما اشبه وكان
عملهُ في سكة الحديد يستغرق وقتهُ كلهُ في النهار فجعل يصنف الكتب في الليل فكتب ترجمة
ستفنصن مخترع سكة الحديد ونشرها سنة ١٨٥٧ فراجت رواجًا عظيماً حتى اضطرَّ ان يعيد
طبعها خمس مرات في السنة الاولى التي نشرها فيها وكان قد أَلف كتاب سر النجاح (واسمهُ
بالانكليزية Self-Help اي الاعتماد على النفس) وعرضهُ على ناشري الكتب مرارًا فرفضوا
ان يطبعوهُ وينشروهُ فلما راج كتابهُ الثاني ترجمة ستفنصن نشروا لهُ كتابهُ الاول سر
النجاح فراج رواجًا عظيمًا وبيع منهُ عشرون الف نسخة في السنة الاولى وبلغ ما بيع منهُ
١٥٠٠٠٠ نسخة في عشرين سنة وترجم الى سبع عشرة لغة

وتلا ذلك كتب كثيرة خرجت من قلمهِ تباعًا الى ان كانت سنة ١٨٧١ فاصيب بالفالج
واضطرَّ ان ينقطع عن الاشغال العقلية تماماً ثلاث سنوات متوالية فشفي وذلك من النوادر
وعاد الى التحبير والتحرير فألف كتابهُ في الاقتصاد وهو الذي لخصناهُ وجعلناهُ الجزء الثاني من
سر النجاح نشرناهُ اولاً فصولاً في مجلة اللطائف ثم نشرناهُ على حدة فابتاع المرحوم علي باشا

مبارك نسخةُ كلها وكان ناظرًا للمعارف . واتبع ذلك بكتب اخرى اكثرها ترجمات لاناس نبغوا في العلوم والفنون والصنائع ولكنهم لم يشتهروا لفقرهم فاشتهروا بنشره ترجماتهم حتى ان واحدًا منهم ربطت لهُ الحكومة الانكليزية معاشًا لما ظهرت ترجمتهُ

وكل الترجمات التي ألفها توخَّى فيها ذكر الاساليب التي اتَّبعها ارباب الاعمال على نحو ما يرى في سر النجاح لكنهُ توسع فيها جدًّا فما ادمجهُ في صفحات قليلة في سر النجاح بسطهُ في كتب كبيرة حتى تكون مرشدًا للذين يقتفون خطوات اولئك العظام . ولم يقتصر على تأليف الكتب بل كان يكاتب بعض المجلات العلمية والادبية ولهُ فيها المقالات الحسان . واسلوبهُ في الانشاء بسيط لكنهُ مكين فيعدُّ من الطبقة الاولى بين المنشئين . وكل ما كتبهُ صحيح في مبدإِهِ مفيد في غايتهِ وسيبقى في المقام الاول بين الكتب التي افادت نوع الانسان

السر هنري ستنلي

اذا ذُكر العصاميون الذين ارتقوا بجدهم من ادنى المراتب الى اعلاها واستحقوا ان تُنشَر اسماؤُهم في كتاب سر النجاح ليكونوا مثالاً لطلاَّب المعالي فالسر هنري ستنلي الرحَّالة الشهير في مقدمتهم . واذا ذكر روَّاد افريقية الذين اغروا ممالك اوربا بتدويخها واقتسامها وامتلاكها فلهُ الشأن الاكبر بينهم . غير ان فعلهُ هذا تختلف قيمتهُ من حيث سكان افريقية لانهُ ان آل امتلاك الاوربيين لها الى نفع سكانها الاصليين كما نرجو فيكون لهُ اكبر فضل عليهم وان آل الى ضرّهم كما نخاف فيكون من اكبر المسهلين لانقراضهم

ولد ببلاد الانكليز نحو سنة ١٨٤٠ من اصل وضيع جدًّا فلا يعرف شيء بالتحقيق عن سنة ميلادهِ ولا عن والديهِ وكان اسمهُ جون رولندس . ولما بلغ الخامسة عشرة من عمرهِ هاجر الى اميركا ويقال انهُ ذهب اليها خادمًا في احدى السفن وخدم هناك تاجرًا اسمهُ ستنلي واجتهد في خدمتهِ فأَحبَّهُ ووعد ان يتبناهُ فغير اسمهُ وتسمى هنري ستنلي لكن التاجر مات قبل ان يكتب وصيَّتهُ وتركهُ صفر اليدين لايملك شيئًا فاقام سنتين او ثلاثًا الى ان نشبت الحرب الاهلية فانتظم في سلك الجنود وأُخذ اسيرًا ولما انتهت الحرب جاء الى تركيا مكاتبًا لاحدى الجرائد ثم لما ارسل الانكليز حملتهم على بلاد الحبشة سنة ١٨٦٧ بعثتهُ جريدة النيويورك هرلد مكاتبًا لها فبعث اليها بخبر فتح مجدلة قبلما وصل الخبر الى الحكومة الانكليزية . وابدى في كل ما كتبهُ حينئذٍ وما كتبهُ قبل ذلك الحين وبعدهُ من المهارة في الوصف والمقدرة على تمثيل

ما يريد ذكره ُ ما احله ُ محلاً رفيعاً بين كتَّاب العصر كما ترى في الخطبة التالية

ولما عاد من بلاد الحبشة ارسلتهُ جريدة الهرلد الى اسبانيا ليرقب الحوادث فيها وبعث اليهِ المستر غوردن بنت صاحبها وهو هناك يستدعيهِ الى باريس فلما حضر طلب منهُ ان يعود الى افريقية ليفتش عن لفنستون المرسل الانكليزي الذي مهد السبيل لرواد افريقية وللشركات التجارية وكانت اخباره ُ قد انقطعت من زمن طويل وظن اصدقاؤه ُ انهُ قضى نحبهُ . فقام ستنلي للحال واتى القطر المصري حينما فتحت ترعة السويس ثم سار الى زنجبار وضرب في افريقية فوجد لفنستون في اواخر سنة ١٨٧١ وبقي معهُ اربعة اشهر يجوبان البلاد معاً وكان المرض قد انهك لفنستون فانتعشت قواه ُ برؤية ستنلي و بما جلبهُ لهُ من الزاد

وعاد ستنلي الى اوربا فوصل انكلترا في اواسط سنة ١٨٨٢ فقوبل بالترحاب ونشر فيها كتابهُ المشهور وجعل موضوعه ُ "كيف وجدت لفنستون" فراج رواجاً عظيماً جداً ولا يزال الناس يتفكهون بقراءتهِ حتى الآن وقابلتهُ ملكة الانكليز واهدت اليهِ علبة سعوط مرصعة بالماس واهدت اليهِ الجمعية الجغرافية نشانها الذهبي

وعادت جريدة الهرلد فارسلتهُ الى افريقية مع حملة الاشنتي ونشر بعد ذلك كتاباً جمع فيهِ رسائله ُ من مجدلة عاصمة الحبشة ومن كوماسي عاصمة الاشنتي . وسمع بموت لفنستون وهو راجع مع حملة الاشنتي فود ان يتمم ما لم يتممهُ لفنستون من اكتشاف مجاهل افريقية فتمت بغيتهُ وارسلتهُ جريدة الدايلي تلغراف الانكليزية وجريدة الهرلد الاميركية على نفقتهما لكشف تلك المجاهل ففعل ما لم يفعله ُ رائد آخر من الروَّاد دار حول بحيرة فكتوريا نينزا وحول بحيرة طنجنيكا واصلح خريطتيهما وكشف اكثر ما يعرف الآن مما كان مجهولاً حينئذٍ من قلب افريقية . والمرجح انهُ لم يكتشف احد اكتشافات جغرافية تماثل ما اكتشف ستنلي في تلك السفرة . وعاد الى اوربا سنة ١٨٧٨ لكنهُ ذهب الى افريقية اسود الشعر فرجع منها شائبهُ لكثرة ما عاناه ُ من المشاق وما اقتحمهُ من المخاطر

وذكر في احدى رسائلهِ وهو في هذه السفرة ان نهر الكنغو يصلح لسفر السفن وان هناك باباً واسعاً لتجارة فلم يكد يصل الى اوربا حتى استدعاه ُ ملك بلجكا اليهِ واستعان بهِ على تعمير تلك البلاد وفتحها للتجارة ورده ُ الى افريقية لهذهِ الغاية ومن ثم انشئ ما يسمى بولاية الكنغو الحرة وافلحت تلك الولاية مدة اقامة ستنلي فيها الى اواسط سنة ١٨٨٤ ثم حلت بها العبر بعد تركه اياها

وذهب الى اميركا يخطب فيها عما لقيهُ في رحلاتهِ فاستدعتهُ الحكومة الانكليزية

وطلبت منهُ ان يذهب الى اعالي السودان لانقاذ امين باشا وكان امين باشا مديرًا على مديرية خط الاستواء من قبل الحكومة المصرية وقد قاوم الدراويش جهده وكادوا يتغلبون عليهِ فوعدت الحكومة المصرية بعشرة الآف جنيه لهذه الغاية واكتتب الانكليز بعشرة الآف جنيه اخرى . ولما اتم ستنلي عمله وانقذ امين باشا وعاد الى القطر المصري رحبت بهِ الحكومة المصرية واولمت لهُ وليمة فاخرة في ٣٠ يناير سنة ١٨٩٠ رأسها دولتلو رياض باشا الذي كان رئيسًا للنظار حينئذٍ . وبعد الطعام خطب ستنلي خطبة مسهبة وصف فيها رحلتهُ لانقاذ امين باشا قال فيها ما ترجمتهُ

الخطبة

قد حق عليَّ وعلى رفاقي مزيد الشكر لما لقينا في هذه الديار من مظاهر الاجلال والاكرام منذ دخلنا هذا القطر الى الآن فاليكم نُسدي الثناء ومنكم نبغي التكرم بالقبول

ان الحملة التي اسعدنا الحظ باتمامها على ما يرام كان السبب فيها اعتقاد الانكليز بانهم مسؤولون عمَّا باتت فيهِ حامية مديرية خط الاستواء من الضنك والمركز الحرج وكذلك مديرها وكيل غوردون الذي امسى وحيدًا فريدًا في ديار مهجورة . فان المسيو ينكر لما عاد من افريقية افرغ وطاب الاخبار والانباء على اهالي الديار المتمدنة فقال ان في قلب افريقة رجلًا لم ينفرد هناك بارادتهِ بل طوعًا لاوامر غوردون رئيسهِ وانهُ محفوف بالاعداء من كل جانب وان الدراويش السائرين في جهات السودان عازمون على ان يمحوا آثار سطوة مصر عن تلك الديار وهم يتأهبون لغزو المديرية واعمال السيف في حاميتها واهلها وان الرجل الذي بات وحيدًا في تلك الاقطار عدم وسائط الدفاع وقاربت ذخائرهُ النفاد . وكنت حينئذٍ عازمًا على السفر الى اميركا فقابلني صديقٌ قديم وجعل يكلمني عن احوال المديرية الاستوائية وما ألمَّ بها وبمديرها من النوازل ثم قال لي أتقدم على انقاذها اذا مددناك بالمال فقلت لهُ انكم انتم الانكليز بارعون في الاقوال بطيئون في الافعال . دبروا الاموال ثم اسألوني وعلى الله الاتكال . وسافرت بعد ذلك الى اميركا حيث كنت اخطب على اهلها وما اتممت الخطبة الرابعة عشرة حتى اتتني رسالة برقية ان ارجع حالًا الى انكلترا في اول باخرة فسافرت على الفور واتيت انكلترا وقلت اني مستعد للمسير فقالوا سر بعون الله وأعن امين باشا

وكان لنا اربع طرق للمسير الى المديرية الاستوائية وسأبوح لكم الآن بامر اظنهُ لا يزال مستورًا وهو اني كنت من بادىء الامر مستخيرًا في نفسي طريق نهر الكنغو عالمًا انهُ افضل الطرق ولو كان اطولها اذ احسن الطرق لا يلزم ان يكون اقصرها فلما كاشفت اعضاء اللجنة

بهِ اعترض بعضهم عليهِ فقلت لا بأس فاني وعدتكم ببذل الجهد ولا فرق عندي سرت في هذه الطريق او في غيرها وعليهِ جزمت على المسير في طريق شرقية لاغربية

وارسلت رسالة برقية الى زنجبار بان يحملوا ٢٠٠ رجل مئتي حمل ارزّ ويرسلوهم الى امبوبوي في اطراف اراضي الالمان . وبعد مضي بضعة ايام اوعزتْ اليَّ نظارة الخارجية الانكليزية بان المسير في تلك الطريق الشرقية يوجب الارتباك والقلاقل السياسية فالعدول عنها اسلم عاقبة من المسير فيها فاضطررت حينئذٍ ان اعدل عنها وعن سواها من الطرق الشرقية لان طريق كرغوى كانت مسدودة باعتراض قوم اوغندا فيها وطريق روندا الواقعة الى الغرب من طريق كرغوى لم تكن طريقاً تسلك لمن كان مثلنا حاملاً الذخائر والمؤن الكثيرة لاغاثة امين باشا وطريق نيسّا وبحيرة طنجنيكا وهي الرابعة لم تكن موافقةً لنا لان احوال الشركة الانكليزية هناك لم تكن يومئذٍ على ماهي اليوم او على ما آمل ان تكون بعد بضع سنين بل لم يكن عندها الاّ سفينة واحدة وهي لا تستطيع نقل ٨٠٠ او الف انسان فلم يبقَ لنا الاَّ طريق الكنغو ولما اخبرت اللجنة بذلك قالت افعل ما بدا لك فارسلت تلغرافاً ثانياً الى زنجبار ان استرجعوا مئتي حمل الارز التي ارسلتموها . فكلفنا ارسالها وارجاعها خمسة آلاف ربيَّة ثم الحقت التلغراف بالتلغراف حتى دبَّروا لنا ٦٠٠ حمَّال لحمل المهمات والذخائر وسائر ما يلزم لاغاثة امين باشا

وربَّ قائل يقول وما هذه الاغاثة وكيف تكون . اقول ان اصدقائي الانكليز اخبروني صريحاً بانهم يودون بقاء امين باشا في افريقية ومحافظتهُ على مديريتهِ وهذا ما كان يقولهُ لي كل انكليزي ولكني اوجه انظاركم ايها السادة الكرام الى مايلزم لامين باشا لو شاء البقاء فأولاً يلزم ان ترسل اليهِ ذخائر ومهمات كل سنة والاَّ فلا يستطيع المحافظة على مركزهِ ثم ان عدد البنادق التي عند جنودهِ ١٧٥٠ او نحوها واذا اردنا ان نرسل لكل بندقية ٢٠٠ طلق فقط بلغ ما نرسلهُ ٨٠٠ حمل يلزم لها ٨٠٠ حمال عدا ٤٠٠ حمل من البارود للجنود الخطرية وعدا الخرز والقماش وغيرهما مما يبتاع بهِ الطعام للحمالين . وعليهِ يلزم الفا رجل كل سنة لنقل ٢٠٠ طلق لكل بندقية وهؤُلاء الالفان يقضون سنة في الذهاب والاياب . ناهيك عن نفقاتهم ونفقات الهدايا والزاد والادوية والوف الاشياء التي تلزم لذلك بحيث تبلغ نفقات القافلة كل سنة لا اقل من ٢٠ الف جنيه . ومعلوم ان الحكومة المصرية وهبت ١٠ آلاف جنيه لانقاذ امين باشا وقالت انها لا تعطي مالاً بعد ذلك لانها بعد ما تخلت عن شمالي السودان واواسطها لم تعد تعبأُ بالمحافظة على جنوبيها اذ لاحيلة لها في صيانتها ولذلك رأَت الاكثر مناسبةً ان يعود امين باشا منها ويتركها كما تركت سواها . على ان الحكومة المصرية

والانكليز معاً تركوا الحكم في هذه المسألة لامين باشا اذا شاء البقاء بقي واذا شاء المجيء جاء
والآن اشرع في وصف رحلتنا بوجه الاختصار بعد قيامنا من زنجبار ومرورنا براس الرجاء الصالح ووصولنا الى مصب نهر الكنغو في غربي افريقية

لما اتينا مصبَّ نهر الكنغو قيل لي اني لا استطيع القيام من نقطة بنانا قبل ستة اسابيع ولكننا قمنا منها في اليوم التالي . ولما وصلنا الى بركة ستنلي اروني سفينةً من احسن السفن التي تسافر في الكنغو الاعلى وكانت باليةً من طول الزمان وقد مضى عليها اشهر وهي ترمم فقال لي الناس جميعاً انكم لا تستطيعون المسير من هنا قبل اواسط مايو فطلبت سفينةً من سفن المرسلين الذين هناك فاجابوني انهم لايقدرون ان يجيبوا طلبي . فلما اتينا شلالات ستنلي عُرِض عليَّ كل ماهناك من السفن فسافرنا في الحال خوفاً من ضياع الزمان وكنت قد استصحبت شيخاً نخاساً سلاَّباً نهاباً يقال لهُ تبوتيب ولما كان لابدَّ لي من المرور في جانب من البلاد الخاضعة لهُ ولم يكن مأذوناً لي بمقاتلة احد أَولمت لهُ الولائم واحسنت لهُ المعاملة وعرَّفتهُ بالقوم كأنهُ ليس من ذوي البغي والفساد فرأى في البيض ما اقنعهُ بانهم يعاملونهُ احسن معاملة اذا وفى عهودهُ بالصدق والاستقامة . ولما كنا في رأس الرجاء الصالح قال على مسمع ٍ مني ان البيض اناس صغار العقول فلما رأى عظم افعالهم قال لي كنت اظن ان البيض قوم مجانين فعلمت اليوم انهم ليسوا بلا عقول فقلت لهُ وستعلم بعد ما لا تعلمهُ الآن وتحكم ان الانكليز لا يقصرون عن العرب حذقاً وادراكاً . وذهب تبوتيب معنا الى شلال ستنلي ونزل هناك بناءً على وعدهِ بان يقدم لنا ٦٠٠ حمَّال لحمل المهمات والذخائر فاني كنت قد احضرت معي ما يلزم لتجهيز امين باشا اذا شاء البقاء في مديرية خط الاستواء ودبرت للحالين قبل المسير حتى اذا جهزتهُ بما يلزمهُ واذا لم يبقَ ارجعت المهمات معي ولذلك أَخذت معي شيئاً كثيراً لم تكن حملتنا لتحتاج الى عشرهِ فعشرون صندوقاً من الذخائر تزيد عما يلزم لحملتنا حال كون ٢٠٠ صندوق لا تكفي حاجة امين باشا وقومهِ

ولما سافرت من انكلترا كنت اظن انهُ في معظم الشدة واشدّ الضنك وذلك كان ظن الناس جميعاً حتى اجمعت الجرائد على وجوب المبادرة لاغاثتهِ لئلاَّ يصيبهُ ما اصاب غوردون. ولما كانت السفن على الكنغو الاعلى غير كافية لنقل رجال الحملة كلهم بما معنا من الذخائر والمهمات اضطررت ان اترك جماعة من قومنا تحت قيادة برتلوت وغيرهِ من الضباط في محلةٍ هناك لينتظروا وصول اللوازم التي تخلفت عنَّا في الكنغو الاسفل . وكانت تلك المحطَّة منيعة حصينة وبجانبها حقول فسيحة مزروعة ذرة تقوتهم سنين عديدة واوصيتهم انهُ متى وصلت

اللوازم والمهمات يقتفون آثارنا مع تبوتيب او بدونهِ في الادغال الممتدة امامنا فاعربوا جميعاً عن رغبتهم في اتباعنا ولذلك اصدرت لهم الاوامر اللازمة وقمت عاجلاً خوفاً على امين باشا. فسرت مع ٣٨٩ رجلاً والضباط الذين ترونهم بيننا الآن قاصدين بحيرة البرت بلا ابطاء اما الادغال التي كانت تسدُّ الفضاء امامنا فقد ادهشني كبرها وارهبني التفاف شجرها فجعلت اسأل الناس عنها وعمَّا اذا كانت مأهولة او لا وعن مسافة امتدادها شرقاً فيجيبونني جميعاً الله اعلم فانَّا لم نسمع من عهد آبائنا واجدادنا ان لهذا الغاب نهاية فاذعنت انا وقومي لحكم الضرورة ودخلنا تلك الادغال وظللنا شهراً كاملاً نسير فيها بلا انقطاع ونحن لا نرى شمساً ولا سماء لشدة التفاف الاشجار وتكاثف اظلالها ولا نرى هنا وهناك الأَشعاعة من النور او ضوءًا ضعيفاً مستطيراً حتى مللنا المسير وسلمنا جميعاً بان المسير في تلك الحرجات اصعب ما قاسيناهُ من مشاق افريقية كلها

وبعد مسيرة ١٦٠ يوماً خرجنا منها الى العراء فانتعشت انفسنا بضوء الشمس ورؤية السماء واستنشاق لذيذ الهواء وجعلنا نعدو في المروج الخضراء كصبية بعثهم الصغر على البطر فمرحوا وفرحوا من تلاعب النسيم في اطراف العشب الاخضر. وما انشرحت منا الصدور حتى اطبقت علينا قبائل قوية تتكلَّم لغةً غريبة وهاجمتنا مهاجمةً عنيفةً حتى خلنا انها تريد صدَّنا عن كنز من اثمن الكنوز او انها انخاذ من تلك القبائل التي تتهدد امين باشا. ولكنَّا فزنا بعد كل مقاومة بالوصول الى اطراف تلك الاراضي المرتفعة في ١٣ دسمبر ورأينا بحيرة البرت تحتنا بالفين وتسعمئة قدم. فانحدرنا الفين وخمس مئة قدم مساء ذلك اليوم وسرنا في صباح اليوم التالي الى قريةٍ في الزاوية الجنوبية الغربية من البحيرة. وكنا لسبب ما المَّ بنا من الضعف والهزال قد تركنا زورقنا الفولاذي وراءنا ولم نجد في البحيرة قارباً يسع اكثر من اثنين معاً وسألنا اهل القرية فوجدنا انهم لا يعرفون امين باشا ولا سمعوا باسمهِ وانهُ لا يوجد في البحيرة قارب يصلح لنقلنا فرجعنا مسافة ١٩٠ ميلاً واحضرنا زورقنا ثم عدنا الى البحيرة بعد مضي اربعة اشهر

ولما انزلنا الزورق في البحيرة ركبهُ جفسن وبعض البحرية وسافروا حذاء ساحلها الغربي ليبحثوا عن مكان امين باشا ولم يمضِ الَّا ايام يسيرة حتى انشرحت منا الصدور برؤية الباخرة الخديوية قادمة تمخر الماء قاصدةً محلتنا. وبات امين باشا والمسيو كاساتي تلك الليلة عندنا ولم يطل علينا الاجتماع حتي اصلحنا ما كنا نتصورهُ عنهُ وعن مديريتهِ فعوضاً عن ان نرى رجلاً طويل القامة عسكري الهيئة كما كنا نتصوَّر رأينا رجلاً قصير القامة قوي البنية — فصدق فينا قول من قال "ان الطيور على اشكالها تقع" وعلمنا ان أُورطتهُ الاولى قد تمردت وعصت

منذ اشهر كثيرة وان كثيرًا من محطاتهِ واقع في قبضة العصاة وان بقية الاورط من الجنود القانونية المنظمة تلتمس عذرًا لشق عصا الطاعة وغير القانونية تنتظرها لتحذو حذوها . فبقينا ستة وعشرين يومًا معًا وكنت في اثنائها احاول الوقوف على افكار امين باشا لأعلم ما اذا كنا نحظى بمسيرهِ معنا الى البحر او يبقى مع قومهِ في افريقية فكان يجيبني على الدوام حيث يذهب قومي اذهب وحيث يبقون ابقى فسألت كاساتي عما اذا كان يشرّفنا برفقتهِ فاجاب اذا ذهب سعادة المدير ذهبت واذا بقي بقيت وسألت الضباط فاجابوا عين ذلك الجواب وبقوا عليهِ مدة الستة والعشرين يومًا ولم يشأ احدٌ ان يجاوبني صريحًا عن بقائهِ اومجيئهِ معنا لان امين باشا كان يريد ان يشاور قومهُ في ذلك ويعلم ما يقولون قبل ان يجاوبني قطعيًا ولحظت على توالي الايام انهُ راغب في العمل ميال الى البحث والاكتشاف لانهُ من المجتهدين طبعًا فكانت مراقبة الطبيعة ودراسة اسرارها تلهيهِ عن مصابهِ وتكسبهُ السعادة في قلب افريقية ولو كلف ان يقضي ساعاتهِ في قهوة من قهاوي العاصمة لكان اشقى الناس حالاً واكثرهم زهدًا في الحياة واما في افريقية فكان سعيدًا لاعتقادهِ انهُ يصنع خيرًا

فلما لحظت ان امين باشا يبغي البقاء في افريقية وكنت راغبًا في الوقوف على جوابهِ القطعي قلت لهُ اني اعرض عليك ثلثة امور اولاً ان تكون مديرًا على هذه الديار كما انت الآن براتب الف وخمس مئة جنيه في السنة ومال قدرهُ اثنا عشر الف جنيه سنويًا لادارة مهامها . هذه فرصة لك فاجبني الجواب الصريح عنها . وثانيًا ان آخذك الى بلاد في هذه القارة من اجمل ما اكتحلت برؤيتهِ عينك فتسكنها مطمئنًا آمنًا من غزوات الدراويش وهجمات الثائرين واجعلك حيث يكون لك اتصال دائم بالبحر وحيث تأتيك الذخائر والمهمات على الدوام فتنال فيها مني نفسك ويدفع لك فيها راتب يوافق مقامك ودراهم تكفي لجنودك . نعم اني غير مفوَّض بان اعرض عليك هذا الامر ولكني اتكفل لك بهِ واكون مسأولاً لديك عنهُ . ولا انكر ان اول واجب عليَّ هو لسمو الخديوي المعظم ولكنهُ قد امر بقيامك من هنا ومرافقتك لنا الاَّ اذا ابيت انت ذلك وبما انك لا تريد مرافقتنا اعتقادًا منك بان قومك لا يرافقونك وانا قد اتيت هذه الديار لاخلص لك الخدمة فها انا قد عرضت عليك هذين الامرين عدا الامر الثالث وهو مرافقتنا لاقضي ما يجب علي من خدمتك . فصمت ولم يجاوبني جوابًا قاطعًا لسبب سري خفي لا اعلمهُ وكان القلق قد اشتد بي لطول انقطاع اخبار برتلوت ورفاقهِ عني وصرت ارى من الضرورة التفتيش عنهم فقلت لهُ اذا كنت لا تستطيع ان تجيبني في الحال فاني امهلك مدة غيبتي عنك لتفكر في الجواب وتجزم الامر الذي يقرُّ عليهِ رأيك

فسرنا حتى اتينا قومنا المتأخرين فوجدنا النوازل قد ألمَّت بهم وضعفت احوالهم ثم عدنا الى نينزا رابع مرّة واول خبر قرع مسامعي فيها بعد وصولي اليها ان امين باشا مسجون في مديريتهِ ولم يبقَ عنده خدام ولا جنود وانهُ مقيَّد اليدين والرجلين فتصوروا انفسكم مكاني تعلموا ما خامرني بعد ما اتيت قلب افريقية لانقاذهِ ولقيت هذهِ النوازل مجتمعة امامي فكانت غاية سعينا واجتهادنا ان نسمع بسقوط المديرية وسجن امين باشا وخسارة ضابطي بعد ما خسرت اثنين قبلهُ ومئات آخرين من رجالي وامسيت في خطر من ان افقد كثيرين غيرهم ايضاً . فرأيت بادئ الامر ان استعلم عن احوال سجنهِ واسبابهِ ثم انظر في طريقة انقاذهِ . فقيل لي ان الذين سجنوهُ هم جنودهُ وذلك لانهُ وضع نفوذهُ عندهم في غير موضعهِ وانهم عن قريب يطلقونهُ لكن ضابطي اخبرني ان ذلك غير صحيح وان المديرية قد سقطت سقوطاً لا تقوم لها قائمة بعدهُ فقلت اني انتظر كل هذه الايام لاقف على جواب الاوربيين الذين هنا واعلم ما اذا كانوا يرجعون معي او يبقون في هذه الديار فان كان امين باشا قد بات اسيراً ولا يقدر ان يخبرني مَنْ يستلم المهمات التي جئتهُ بها او هل يقبل دعوة سمو الخديوي بالرجوع معنا فما لي الاَّ ان اتلف هذه المهمات وآمر بالرجوع . فكتبت الى امين باشا بذلك فكان جوابهُ حضورهُ بنفسهِ في احوال غير منتظرة وذلك انهُ بعد ما تمرَّد الجنود عليهِ غزاهم الدراويش واستولوا على اربع محطات من محطاتهم وعلى كثيرٍ من ذخائرهم ومهماتهم والقوا الرعب في قلوبهم فقالوا في انفسهم خيرٌ لنا ان نسترضي الخليفة في الخرطوم بالقاء القبض على هذهِ الحملة التي اتت وتسليمها كلها ليدهِ والحصول على الكرامة والشرف عندهُ من ان نتبع مديرنا ونلقى نصيبنا من نصيبهِ . فما قولكم لو كنا الآن عبيدًا وسيَّاساً للمهدي بعدما اوغلنا في قلب افريقية واعدين النفس بتحصيل المنى وتحقيق الاماني

ولا يخفى ان اولئك الجنود كانوا منغمسين في المكايد غمساً وروح العصيان يسري في عروقهم وان كثيرين منهم كانوا من قوم عرابي فاتفق رأيهم على ان يأتوا محلَّتنا ولكنهم علموا انهم اذا اتوا اليَّ وحدهم يكون اول سؤالي لهم اين مديركم واين ضابطي فلذلك رأوا انهم لا يتمكنون من مقابلتي الاَّ اذا اطلقوا سراحهما واعتذروا لمديرهم عما فرط منهم . ثم اعترفوا باني مرسل لاغاثة مديرهم من قبل سمو الخديوي المعظم وان الاوامر التي معي رسمية صحيحة فوعدهم امين باشا بالعفو عنهم وتعريفهم بي واتوا محلتنا معهُ ليستعلموا بانفسهم عن قوتنا ويعرفوا سذاجتنا من براعتنا

فلما وصلوا مدحهم امين باشا لسوء الحظ واطنب ولكني كنت مرتاباً فيهم لكثرة ما بلغني

عنهم ورؤْية كثير مما لا يرضي منهم ولم اصدّق دعاويهم واقوالهم لاسباب كثيرة . غير انهم قالوا اننا اذا امهلناهم جمعوا العيال والجنود وجاءُوا معنا الى مصر ليرفعوا شكرهم لسمو الخديوي على ما انعم بهِ عليهم . وكانت ظواهر الصدق والاخلاص بادية على كلامهم وهيئتهم تدل على ندامتهم وتوبتهم بحيث لا يسع الساذج الاَّ تصديقهم فامهلتهم بطلب امين الباشا مدة ٢٠ يوماً كما اشار فرجعوا على البواخر الى وادلاي وسرقوا معهم بندقية من صنع رمنتن وهم راجعون

وصبرنا حتى مرَّ ثلاثون يوماً ولم يأتِ احد ولكن اتتنا كتابات كثيرة من وادلاي بحدوث الفتن والمكايد وان الناس انقسموا حزبين احدهما ناصر لفضل ملى بك والآخر لسليم بك والحرب بينهما سجال . وكان امين باشا لا يزال مقتنعاً بصدق قومهِ فلما مرَّ الثلاثون يوماً طلب اليَّ ان اطيل المهلة فامهلتهم ١٤ يوماً ايضاً واجَّلت المسير الى ١٠ ابريل . وفي ٥ ابريل وجدنا ان الذين لجأُوا الى محلتنا من اهل المديرية يحاولون سرقة بنادق أُخرى في الليل ثم تبينَّا في اليوم التالي انهُ لا يوجد الاَّ رجلٌ واحد يقصد مرافقة امين باشا من ست مئة نسمة لاذوا بجانا وكان امين باشا معتقداً بامانتهم واثقاً بوفائهم

فحينئذٍ جمعت القوم واخبرتهم اني استلمت زمام الامور منذ ذلك اليوم فالذي لا يطيع اوامري يقتل بالرصاص فكفوا عن الدسائس ومحاولة سرقة البنادق مدَّة من الزمان . وفي ١٠ ابريل قمنا من جوار بحيرة البرت بالف وخمسمئة رجل وبعد مسيرة عشرة ايام اضطررنا الى الوقوف لمرض شديد اعتراني على مسيرة ثلثة ايام من نينزا فاصبحت محلتنا محطاً للدسائس والمكايد وسرقة البنادق وكان النساء يهربن و يوافين الرجال في محطة قديمة لنا على نينزا ولثقل المرض عليَّ لم استطع الاَّ على وسوسة بعض الاوامر ولكن الضباط الذين كانوا معي كانوا من ذوي الهمة والمقدرة فسار الملازم ستيرس منهم الى نينزا وامسك كل الذين كانوا قد فروا اليها ومن جملتهم رجل يقال لهُ ريحان وكان اصل تلك الدسائس كلها فشكل مجلساً وحاكمهُ محاكمة طويلة ثم حكم بوجوب قتلهِ واصرَّ على تنفيذ الحكم فوقَّعت على الحكم وقتل ريحان وكان ذلك آخر الاتعاب التي تحملناها من سكان المديرية الاستوائية

وفي ٨ ماي ١٨٨٩ سرنا قاصدين الاوطان فلما اخترقنا الهضاب الواقعة غربي بحيرة البرت اكتشفت اكتشافاً عظيماً في وادي سمليك وهو نهر يجري فيهِ ويستمدُّ ماءَهُ من اثنين وستين جدولاً تنحدر عن سلسلة جبال علوها بين سبعة عشر وتسعة عشر الف قدم . واتضح لي لدى مراجعتي ما كتب عن تلك البلاد ان جغرافياً عربيًّا اسمهُ شياد الدين (كذا) وعصرهُ القرن الرابع عشر للميلاد وصف هذا النهر وصفاً بديعاً ودقق فيهِ بما لم يبعد عن الحقيقة . قال ان

خط الاستواء يقطع جبالِ القمر وتنحدر عن هذه الجبال سيول وجداول كثيرة غربي نهر يصب في بحيرة عظيمة ينشأ النيل الابيض منها ويجري الى بلاد مصر اه . وهذا وصف صحيح لم يزد الخطأ فيهِ عن اميال يسيرة . والغريب اننا نكتشف الآن ما كان معلومًا عند الخلفاء والبطالسة والفراعنة قبلهم وحفظ في آثارهم التي توارثها الخلف عن السلف حتى اتصلت بجغرافيي العرب في زمانهم ثم عفت آثارها وطمست اخبارها حتى عدنا فكشفناها في زماننا. وقد اسعدنا الحظ في مسيرنا اننا رددنا بعض الرواسب الملحية الى اصحابها وقد اجرينا العدالة في عملنا هذا لاعتراض تلك الرواسب في طريقنا فنلنا عليهِ ما لا يوصف من الاكرام والضيافة على الرحب والسعة

نعم ان ولائم المتمدنين فاخرة وشاهدنا هذه الوليمة التي هي من افخر ما رأيت ولكن ما قولكم في اهل افريقية المتوحشين الذين ضافونا مجانًا ضيافة لا مثيل لها فاطعموا ثمانمئة نسمة منا افخر اطايب ارضهم من لحم البقر ولحم الضان والخضر والاثمار مدة ثمانية اسابيع متوالية ولم يقبلوا منا عوضًا عنها ولا ثمنًا بها وكانوا يحسبون قبولنا لها منهم منةً عليهم وفخرًا لهم . وبينما نحن نستشرف بحيرة فكتوريا رأينا صليبًا فعلمنا اننا وطئنا اراضي المتمدنين ثم خرج المستر مكي المبشر الانكليزي لمقابلتنا وكان اول كلمة انكليزية سمعناها ان الانكليز يفتخرون بفعالنا . ولم يحدث ما يستحق الذكر مدة سفرنا من بحيرة نينزا الى سواحل البحر سوى انَّا التقينا بالالمان في اطراف بلادهم الجديدة في شرقي افريقية فاكرم ضباط الماجور وسمن ملقانا ثم متعنا وسمن باطايبهِ فتغيرت بملذاتها مناظرنا حتى زعم الذين رأونا على الساحل ان هيئتنا لا تدل على صدق رحلتنا. ولما وصلنا بغمويو وشاهدنا البحر حييناه تحية مشتاق اشتد بهِ الوجد من طول الفراق وادب لنا هناك مأدبة من افخر ما أُدب في تلك الاقطار وحضر المأدبة ستون او سبعون مدعوًّا وكانت خمورها طيبة وخطبها رنانة فلما فرغت من خطبتي قام امين باشا وشرب على صحة امبراطور الماليا ثم وقف المدعوون جميعًا وغنوا . وبينما انا احادث وسمن بعد ذلك اتانا خبر مشوم وهو ان امين باشا سقط عن ممشى القاعة على علو عشرين قدمًا الى الشارع فوثبنا من مجالسنا وكثر الاختلاط ونسينا الوليمة وهرعنا الى محل الحادثة المكربة فوجدنا امين باشا محمولاً الى المستشفى فتبعناه واذا هو ملقى على سرير ومنظره يفتت الاكباد ومن بعد ما كان فرحًا مفتخرًا واصوات الترحيب ترن في اذنيهِ أمسى محطمًا على آخر رمق . فقلت لا حول ولا ان الانسان في تفكير والله في تدبير. ولطالما اتاني في حياتي ما اراني ان قوة خفية تدير احوال البشر وهذا من اعظم الشواهد عليها. فقد انقذنا امين باشا من مخالب المهدويين واتينا بهِ سالمًا مسافة ١٤٠٠ ميل حتى وقف بين بني وطنهِ مكرمًا مبجلاً تولم لهُ الولائم بعد خدمة ثلث عشرة سنة في قلب افريقية. وكانت

هذه هي العاقبة انهُ يمسي في لحظة مجاور الاموات لعارض عرض لهُ . نعم ان شفاءهُ لا يزال محتملاً ولكن اناساً من الذين هم كفوء للحكم يرتابون في امكان شفائهِ

هذه هي قصة رحلتي ايها السادة واخاف ان اكون قد اطلت عليكم الكلام وان اكن لم اقل الاَّ اليسير فعندنا مالا يحصى من الحوادث والنكت التي تضحك وتبكي وتسرُّ وتحزن ولكني لا اتعرض لها لان الزمان قد فات وغيري يرغب في الكلام ثم شكر الحكومة المصرية على ايلامها تلك الوليمة لهُ وشكر الحضور على ترحيبهم بهِ . وبقي في القاهرة حتى كتب رحلتهُ ونشرها في انكلترا وفرنسا والمانيا والولايات المتحدة في وقت واحد وذلك في شهر يونيو سنة ١٨٩٠ وهي في مجلدين وجعل اسمها "في اظلم افريقية" كأَن الغرض الاكبر من رحلتهِ نشر هذا الكتاب والاكتساب بهِ

ولما عاد الى بلاد الانكليز قوبل بما لا مزيد عليهِ من الاكرام ومُنح رتبة دكتور في الشرائع المدنية من مدرسة اكسفرد ومدرسة كمبردج ومدرسة درهم . واقترن باسيدة دوروثي تننت في كنيسة وستمنستر كأَنهُ ملك من ملوك الزمان

ومنح حرية مدن انكلترا واعطي الرعوية الانكليزية بعد ان فقدها باقامتهِ في اميركا وتجنسهِ بالجنسية الاميركية . وانتخب عضواً في مجلس النواب وفرَّستهُ [1] الملكة فكتوريا سنة ١٨٩٩ فصار يلقب بالسر هنري ستنلي وابتاع ارضاً زراعية اقام فيها وجعل دأْبهُ الاعتناء بالزراعة والاحتفاء بالذين يزورونهُ فيها من جلة القوم . وسيبقى اسمهُ مقروناً باكتشاف مجاهل افريقية وترغيب الدول الاوربية في اقتسامها وامتلاكها . وكان قصير القامة اسمر اللون برَّاق العينين فصيح المنطق شديد العزيمة

وكانت وفاتهُ في العاشر من شهر مايو من غير عقب ووردت رسائل التعزية على زوجتهِ لادي ستنلي من الملوك والعظماء والعلماء ومنها رسالة من ملك الانكليز بخطهِ قال فيها لقد كان من نصيبي ان تعرَّفت بزوجكِ الذي امتاز على الاقران وكثيراً ما سمعتهُ يقصُّ اخبار رحلاتهِ الكبيرة واكتشافاتهِ العظيمة والخدم الجليلة التي خدم بها العالم المتمدن . وان الشهرة الفائقة التي حازها ستحيا بعدهُ دواماً

وصلي عليهِ في كنيسة وستمنستر في السابع عشر من الشهر وحضر الجنازة الشريف سدني غرفل نائباً عن ملك الانكليز والكونت ده لا لنغ نائباً عن ملك بلجكا وكثيرون من اشراف الانكليز وعظمائهم من مثل لورد ربرتس ولود نيو بورث ودوق ابركرن ولورد لنداف ولورد راي ولورد غراي ورؤَساء الجمعيات ونوَّابها . وخلاصة القول انهُ لقي من اكرام قومهِ في حياتهِ ومماتهِ ما هو حقيق بهِ وما يهوّن اقتحام المخاطر على طلاَّب المعالي

(١) استعمل كتاب العرب هذا الفعل في زمن الفروسية كما يستعمل الانكليز فعل Knight

باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب ففتحناهُ ترغيباً في المعارف وانهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنَّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فنحن براءٌ منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي في الادراج وعدمهِ ما ياتي : (١) المناظر والنظير مشتقَّان من أصلٍ واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاشف اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم (٣) خير الكلام ما قلَّ ودلَّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستختار على المطوَّلة

تسهيل صعاب لغة الاعراب

مسألة هامة في بابها ومشروع مفيد لنحو خمسين مليوناً من الناطقين بهذه اللغة وسواهم من المستشرقين الراغبين في درسها يقتصد في اوقات دروسهم ويدفع ما يعتريهم في اكثر الاحيان من تثبيط عزائمهم وتحريج صدورهم وازهاق نفوسهم ان صح

مسألة طالما صبت النفس وحنَّ الخاطر الى النظر فيها ومباحثة رجال الادب واستطلاع آرائهم بشأنها وطالما سمعنا الكثيرين من دارسين ومدرسين يتأففون من عدم الالتفات اليها والاضراب عن خوض عبابها

وما تناولنا كتاباً لمؤلف عصري في قواعد اللغة على اختلافها الاَّ انتظرنا قولاً لهُ في هذا الباب يروي الغلة ويشفي العلة ولم نزل نودع املاً ونستقبل آخر والايام تمر مر السحاب ولا تعلة لنا في انتظارنا الطويل الاَّ الامل ولا بدع "فما اضيق العيش لولا فسحة الامل"

وآخر ما انعش الامل المعلق على هذه المسألة عجالة نشرت في الجزء الرابع من المقتطف الاغر لهذا العام تحت عنوان «العربية وتسهيل قواعدها» استلفت نظرنا اليها بالاكثر انها من قلم صديق لنا عرفناهُ مكبًّا على تدريس اللغة العربية منذ اعوام طوال في مدرسة من خيرة مدارس البنات الداخلية في بر الشام فقلنا الصديق يتكلم عن طول افتكار واختبار لهذا الموضوع فكررنا تلاوتها بما تستحقهُ من التروي والامعان مراراً فوجدنا حضرتهُ قد استهلها باهمية الحركات في اللغة العربية لانها "تجعل للالفاظ رنة وفخامة" ولذلك يعد الغاؤُها مما "يحط من رونق العربية ويقلل تأثير عباراتها" ثم قال ان "استخدام الحركات في اماكنها "همٌّ يلازم الكاتب والقارىء والخطيب مدى الحياة" فللتخلص من هذا الهم ابدى حضرتهُ

رأيين قال في اولها " ان تحسب الكلمات العربية كلها مبنية الاواخر فيقتصر في ضبط الالفاظ على السماع ".

ولكن بذلك فتح خرقاً جديداً اذ نقع في اللبس الذي يدفعهُ الاعراب فلا نعود مثلاً نميز الفاعل من المفعول بهِ في قولنا " كلم رشيد فريد او رشيد فريد او غير ذلك " فان قال حضرتهُ بوجوب الترتيب عندئذ كما اوجبهُ النحاة عندما لا تظهر علامات الاعراب كما في مثل " كلم موسى يحيى ونادى ابي اخي " قلنا لم نتخاص من عقبة الاَّ لنقع في غيرها. وكاني اسمع معاشر الشعراء يقولون على الشعر ونظمهِ السلام بعد قاعدتكم الجديدة " وجوب الترتيب " ناهيك عمَّا بذلك من اضاعة بقية ذاك الفضل الموروث عن اجدادنا السالفين مما ابقى عليهِ الدهر من آثار ومصنفات اذ نحرم اولادنا من فهم ما فيها بعد ان يألفوا تعرف حالة الكلمة من فاعلية او مفعولية او غير ذلك من موقعها في الجملة لعدم مراعاة الترتيب في اقوال السالفين لاعتمادهم للتفرقة بين احوال الكلمات على الاعراب

اما رأيهُ الثاني فاقرب الى الاصابة لولا استحالة العمل بهِ لاسباب شتى يضيق دون استيعابها مؤلف ضخم ولا اظن ان احداً يجهل اكثر وجوهها واهمها ثلاثة اسباب :

اولها : تفرق كلمة الشرقيين وعدم اتفاقهم على شيء سوى " ابقاء القديم على قدمهِ "

وثانيها : وهو من الاهمية بمكان لا ينكر ان القرآن أنزل — عربيًّا — واكثر الناطقين بالعربية من المسلمين وهم يفاخرون ببلاغتهِ ويعتزون فلا يرضون بتغيير شيء من قواعد اللغة التي انزل فيها لئلاَّ تستغلق معانيهِ على ابنائهم اذا فقدت منهم ملكة اللغة العربية على النمط الذي نزل بهِ القرآن

ومن وجه آخر ارى العمل برأيهِ الثاني من باب — الطفرة — نعم ان " سير اللغة مع الزمان سنة الله في الموجودات " ولكن الطفرة ايضاً من المحال بحسب سنة الله في خلقهِ. ايضاً وغاية ما نرجو الآن من علمائنا والمنقطعين منهم لتدريس اللغة على الخصوص تجريد العربية من التعليلات الباردة والاراء المتضاربة وتلك اللغات المهملة ووجوه التركيب الضعيفة ثم النظر في القواعد نفسها وجمعها في حدود جامعة مانعة سهلة الفهم تستوفي قواعد الاعلال مثلاً التي تستغرق في المختصرات اكثر من عشر صفحات بعشر قواعد لا تزيد الواحدة منها على السطرين والقاء مسألة التعليق في باب " افعال القلوب " التي يستغنى عنها دون ان " تمس قواعد اللغة بالمبرد " وطرح " افعال المضاربة " من باب النواسخ لان نصبها لخبرها امر وهمي ما دام لا يقع خبرها الاَّ جملة . واما ما جاء مخالفاً لذلك في مثل " عساهُ صائماً " فهو مع

شذوذهِ كما هو منصوص عليهِ في كتب النحاة نقدر ان نخرّجهُ بجعل المنصوب خبرًا لكان الناقصة المحذوفة فيكون اصل الجملة "عساهُ يكون صائمًا" والنظر في قاعدة الاشتغال الطويلة القريبة من النسيان وتطبيقها على ما تقدم الى غير ذلك مما يفتقهُ البحث والتنقيب ولكل مجتهد نصيب

ومما يستملح ذكرهُ هنا دفعًا للملل القارئ والقول على سبيل الهزل ان حضرتهُ اقترح جعل ضميري الجمع المذكر والمؤنث واحدًا وبيَّن اسبابًا للزوم ذلك وبينها "ان اللغات الحديثة تجعل الضميرين واحدًا" وحضرتهُ يعلم ان اللغة العربية هي لغة شرقية فمتى رأى المرأة في الشرق تباري الرجل وتشاركهُ في مواقفهِ كلها كما تفعل في الغرب لينتظر منها مشاركتها لهُ في ضميرهِ

وهنا ابسط رجائي والتماسي من اهل النظر والتحقيق ان يوافونا على صفحات المقتطف الاغر بارائهم الصائبة في هذا الشأن فالمسألة هامة في بابها ومحل النظر فيها رحب وحضراتهم يعلمون ان الحقيقة بنت البحث ولولا السعي وراء ذلك لما اقدمت على معارضة الصديق في رأيهِ وهو من التحقيق والضلاعة بمكانة لا تنكر

حمص سوريا "ش"

حبذا لو صحت الاحلام

شاقتني نفثات الكاتب المجيد جرجس افندي الخوري تحت عنوان "العربية وتسهيل قواعدها" وراقتني نظرياتهُ فيها ورأياهُ اللذان بسطهما في مقتطفكم الاغر لدى اعلام لغتنا العربية واساتيذها الذين بيدهم زمام الحل والعقد الاباءة والاجازة . فحبذا لو ازاح هؤلاء عن محيَّا مطلبنا العصري ولو طرَف النقاب . وخففوا من العراقيل الحائلة دون البلوغ اليهِ احمالاً طالما رزحت ظهورنا تحتها او كادت . فيولون بذلك ابناء نَطقة الضاد فضلاً لباباً

اني لمتيقن ان جلةً من ابناء عصرنا الذهبي ينحون نحو الكاتب في تمهيد العقبات في درس العربية بل ازالتها ليسهلوا للطلبة سبيلاً طالما دهم سيرهم فيهِ العثار . وللخطباء سرد بنات افكارهم التي كثيرًا ما ندَّ بعضها عن فكرتهم عند صرفها لقواعد اللغة وضبط حركات مفرداتها . وللكتّاب اسلوبًا تسيل معهُ اقلامهم دون اجهاد او تردد

ولما كنت برأيي قضيبًا من حزمتهم أُثني على الكاتب لتساهلهِ وأُثني على ما ذهب اليهِ لاسيما في رأيهِ الثاني . وأُقدم رأيي فيما اراهُ حسنًا فيهِ . واضم لرأيهِ نظرية لا تقل عنهما عند الكرام اهمية

ان توحيد ضمير الجمع في المؤنث والمذكر لحسنٌ وتوحيدهُ في مثناهما لأَحسن فبدلاً من القول الرجال ذهبوا والنساء ذهبن والرجلان ذهبا والمرأَتان ذهبتا نقول الرجال والنساء والرجلان والمرأَتان ذهبوا · وبدلاً من القول كتبهم وكتبهنَّ وكتبهما نقول كتبهم للجميع

ولا ارى صرف الممنوعات نثرًا وشعرًا ثقيلاً في اللفظ قط لا سيما اذا كانت من الاوضاع العربية غير اني ارى حسناً منع الكلمات الاعجمية لا لأَنهُ يستثقل لفظها او يكره سماعها بل لأَن عدم تنوينها وجرّها دليل غرابتها عن اللغة · فالانكليز مثلاً يصدرون اسماء الاعلام بحروف كبيرة تمييزًا لها عن مفردات اللغة · كذا ليكن في العربية اصطلاح تمييزي يفرق بين اعلامها وكلامها

ان لم يكن ممكناً جعل المنادى منصوباً مطلقاً ففي بنائهِ على الضم لمعيَّن واعرابهِ على النصب لغيرهِ بعض الاستحسان من وجهين

(١) ان في ذلك اختصارًا وهذا لهُ في اللغات الحديثة شأْنٌ كبير

(٢) ان في الوضع المُضمر لذة وارتياحاً يخففان مضض صعوبة التمييز

ثم ما ضركم يا ائمة العربية لو أَبحتم اجازة فوق ما بسط لديكم وضع ضميرٍ واحد لما نحسبهُ مذكرًا ومؤَنثاً مجازيين من العجماوات كالبيت والخيمة · او ليس الاسهل ان يجعل لمفرد الاشياء ومثناها وجمعها ضمير واحد يجعل الكاتب في مأْمنٍ من تردده لدى اضمارهِ ما لا ينطبق على معناهُ الحسي كالكاس والفرس ونحوهما · فتأَملوا رعاكم الله

طرابلس الشام عيسى الحلو

قول الحق

كتب في المقتطف الاخير (ايار ١٩٠٤) سؤَال عما اذا كان المثل الانكليزي " ليس من الحق ان يُعلَن الحق دائماً " يجوّز الكذب والجواب كلا وانَّ كتمَ الحق احياناً لاشيء فيهِ من الكذب بل ربما كان الصمت عنهُ واجباً حتماً والاباحة بهِ حراماً كبيرًا . فانك اذا شعرت مثلاً بخطاء خفي في احد فهل لك ان تشهرهُ في كل حال او ليس من الاولى والاوجب الكتم والستر · وفي الحقيقة ما معنى القول الانكليزي الاَّ ما يسلم بهِ كل احد مما ارادهُ حكماء العرب في قولهم " ما كل ما يُعلم يقال " وبمثل ذلك قد اجاب منشئ المقتطف الفاضل ي · و

بيروت ١٤ ايار ١٩٠٤

باب تدبير المنزل

قد فتحنا هذا الباب لكي ندرج فيهِ كل ما يهم اهل البيت معرفتهُ من تربية الاولاد وتدبير الطعام واللباس والشراب والمسكن والزينة ونحو ذلك مما يعود بالنفع على كل عائلة

نحن وهن (١)

ايها السادة والسيدات

كلامي عن الفتيان والفتيات . نحن وهن من خلائق الله العليا في ربيع الحياة وغضاضة العمر تملأ صدورنا آمال الشباب فنبني قصور المستقبل تحت جو السعادة و نرى ما لا يرى فيدفعنا ذلك الى الدرس ومتابعة العلوم لتهذيب النفوس واعدادها لمعترك الحياة

ندخل المدرسة ولا هم لنا سوى تحصيل المعرفة والاكتساب فنطوي من اجلهما الايام والليالي وتمر سنو المدرسة مر النسيم على المرج الاخضر . فلا نشعر الاَّ ومدرسة العالم تستدعينا وتلامذة تلك المدرسة يتهيأُون لاستقبالنا والاساتذة فيها يسعون لاستخدامنا والانتفاع بنا . ندخل المدرسة بهمٍ فنخرج منها بهمين . هم الانتظام في سلك الاعمال المفيدة وهم الاشتراك في سلسلة الوجود . همان يكبران بكبر الانسان و يصغران بصغرهِ . ندخل المدرسة وننشأُ في احضانها الناعمة . ننشق هواءها البليل ونمشي في طرقها الممهدة ونتظلل ظل اشجارها الغبياء فنتعود الرفاه ونخبر العيشة الهادئة ثم نخرج منها الى العالم فتتناولنا ايديهِ القاسية وتدفعنا اكفهُ الخشنة وننشق هواءهُ القذر ونمشي على طرقهِ الوحلة وعقباتهِ الوعرة فنتعثر و يصيبنا من وحولهِ ومتاعبهِ ما يصيبنا

على ان هذا المعترك لابد منهُ واختبارهُ خير الاختبارات واثبتها . فكم تلميذ دخل المدرسة فدرس ووعى ثم خرج منها ظانًّا ان ما تلقنهُ من الكتب وما سمعهُ من معلميهِ وما استفادهُ ضمن دائرة المدرسة كافٍ لرفعهِ الى المنزلة التي يستحقها متكفلٌ باذاعة فضلهِ وبيان مقدرتهِ فكان اول ما خبر ان المنازل الرفيعة لا ترتقى بالمعارف الوجدانية بل بالانتظام في سلك الاعمال مهما كانت وتطبيق المعارف العلمية على المطالب العملية

(١) خطبة تلبت في جمعية الاجتهاد في بيروت

فنحن فتيان الحاضر وشيوخ المستقبل علينا ان ندرك ان النجاح في الوجود يتطلب اول كل شيء معرفة النفس وفهم طبيعتها واميالها وقواها. لان من عرف نفسهُ فقد صاحبها ومن صاحب نفسهُ فقد ملكها ومن ملك نفسهُ فقد ادارها وتسلط على حركاتها وسكناتها. واذا كان الانسان مجموع افكارهِ واقوالهِ واعمالهِ فما اخلق الواحد منا بالتسلط على افكارهِ واقوالهِ واعمالهِ بحيث يؤثر في من حولهُ تاثيرًا صالحًا ويسير في الوجود كما يشاء الحق والاستقامة وكمال الاعمال لا كما تدفع العواطف الحمقاء والطيش الاعمى

فيا ايها الشاب الحدث يا من تشعر بقوة الشباب ونشاط الحداثة وتحلم احلام الشباب وترى رؤى الحداثة. يا من تخفض المرتفعات وتمهد العقبات وانت على كرسي الراحة او مقعد القيلولة ما احلى احلامك وما ابهى رؤاك ولكن ما اشد زوالها ساعة تجيء الى نفسك وتسترد انتباهك وتنظر في ما حولك نظر العاقل الذي ينتفع باختبار غيرهِ ويتدبر الامور بحيث يقع منها على جانب الصواب. كثيرون يضربون في الارض من مكان الى مكان لا يحسنون عملاً ولا يعرفون كيف يحسنون والسبب في ذلك انهم لم يفهموا نفوسهم ولا وقفوا على قواها واميالها الطبيعية فهم

"كريشة في مهب الريح ساقطة لا تستقرُّ على حال من القلق"

وهذا هو السبب الاول في سقوط الفتيان وعدم نجاحهم. لك ايها الشاب ان تقطع البحار وتحلق الجبال وتضرب في الارض شرقًا وغربًا فتبني القصور في جنائن السعادة وترى ما سترى وما لن ترى وانت في ساعة الانفراد على متكإِ التصور والآمال ان كان يدفعك ذلك الى السعي وابراز هذه الصور الفكرية الى الحقائق العملية. لك ان تلبس الثياب الفاخرة وتتزرر بالذهب وتتختم بالماس وتحتذي اللميع وتركب اجمل العربات واجراها ان كان عندك سعة في الوقت والمال وكنت لا ترى في الوجود اسعد من هذه الحالة واحبها عند الخالق والمخلوق — ولكن ليس لك ان تفعل شيئًا من هذه ان كنت تستدين ولا توفي وتقترض ولا ترد وتعد ولا تنجز

لك ان تتشبه بالكرام وتحذو حذوهم في مكارمهم ولكن ليس لك ان تتشبه بالاغنياء وفراشك قصير ورجلاك على الحصير. لك أن تسر بكل ما تراهُ عيناك ولا تبصر من الحياة الاَّ بياضها اذا شئت ولكن ليس لك ان تذهب في الارض كأنَّك لم تخلق الاَّ للتمتع بملاذك الجسدية وغيرك خلقوا ادوات تستخدمها للحصول على رغائبك

لك ان تميل الى كل مخلوق لطيف وشكل حسن وتزور وتعاشر من اردت ومن ارادوك

انما ليس لك ان تلعب بكلامك فتدهن بعضهُ بالزيت ليقل احتكاكهُ في الآذان وتلت بعضهُ بالسكر ليحلو طعمهُ ولا تنظر في عواقبهِ — تلعب بالعواطف الرقيقة لمجرد التسلية وآداب الزيارة كما تدعي وتنفخ نيران الالفة فاذا التهبت وحسست بوهجها قلت هي حامية والقش حولها يابس اخشى لهيبهُ فالهرب اولى والترك احق

هذه هي حال البعض منا ومنهنَّ يتقلبون فيها عن رغبة ورضى ولا يتنبهون الى وخيم عواقبها — على ان الحكيم من حزم امورهُ وتدبر اقوالهُ واعمالهُ كما تقتضيهِ الانسانية وتدعو اليهِ الفضيلة

اما هنَّ فاني ارهب الكلام عنهنَّ وفيهنَّ من الحاسات ما تجرحهُ خطرات النسيم فكيف اذا هبت عليهِ لفحة من خطرات الافكار والكلام الحق . الاَّ انهُ مهما يكن من هذه اللفحة فان محركها الاخلاص وحب الفائدة لا التنكيت والتشفي واذ ذاك فرجائي ان تقع في موقعها المقصود وتترك الاثر المطلوب

هن خلائق الله الحسنى معينات الرجال ومربيات الجنس خصهنَّ الله باللطف والدعة والرقة والحنان وحب النظام والترتيب وانكار الذات قياماً بوظيفتهن السامية في الوجود . هن مبعث كل حركة لطيفة ومظهر جميل وزي حسن وكلام حلو وسلوك ممدوح وعمل كبير . هن نصف الكون الافضل اذا حافظن على مقامهن واقمنَ بواجبات وظيفتهن

مقامهن واي مقام هو ! مقام تحج اليهِ قلوب الفتيان وعقولهم . مقام رهيب تخفق عنده القلوب وتحمر لديهِ الوجوه وتتلعثم امامهُ الالسن ويتحقق المرء ان في الوجود من يؤثر فيهِ تأثيراً لا يدري لهُ كنهاً . فما اقدس مقامكِ ايتها الفتاة ذات النفس الطاهرة وما اقواك على ادارة الفتيان وبث روح السعي والتقدم فيهم

تدخلين المدرسة فتنفتح لديكِ ابواب المعرفة والتهذيب وكنوز العلوم والآداب وتقفين على اخبار الناس وما تيهم فترين نفوذك فيها وشدة سيطرتك عليها فتنقشع عنك غمامة البساطة وتعرفين المقام الذي يستحقهُ جنسك الجميل فتعجبين بهِ وتأخذين بالصعود اليهِ اما متمهلة على درج الاستعداد لاستلام مهامهِ والدربة على القيام بخدماتهِ واما مسرعة في رافع التانق في الملبس وغيرهِ من مقتضيات الزي والرشاقة

وقد تزعمين ان تهذيبك ينتهي بخروجك من المدرسة او نيلك شهادتها فتحصلين على كل ذلك ثم تنضمين الى البيت على امل الخروج منهُ عاجلاً او آجلاً لانشاء بيت مستقل بشركة آخر ممن ترغبين في شركتهم والسعي معهم . امل حق لا نزاع فيهِ انما قد تخطئين باستعمال

الوسائط للوصول اليهِ والذنب في ذلك معظمهُ على الرجال لا عليك . فهم يتقاضونك المحافظة على رونق الجمال الظاهر بما يبدون من الميل اليهِ ولو عقلوا لاستحسنوا منك الجمال الباطن جمال النفس قبل جمال الوجه ذلك الجمال الذي يتجلى في العينين ويقرأ على صفحات الوجه ويتركب من الكلام والسكوت والقيام والقعود ويحمل الرجل على الحشمة والرزانة في حضرتك بحيث يزن الكلام قبل التلفظ بهِ ويروز المعاني قبل ابرازها ويتحقق ان لديهِ شخصاً أقرب منهُ الى كمالات النفس ومظاهر الانسانية

تسمعين البعض يبحثون في حقوق الرجل وحقوق المرأة وكيفية التوفيق بينهما فما اجهل هؤلاء يشتغلون في العرض ويلهون عن الجوهر فالرجل والمرأة كل منهما يكمل الآخر ولا يقوم بدونهِ . للرجال اعمال لا تستطيع المرأة ان تتعاطاها ولا هي خلقت لتتعاطاها وللمرأة اعمال لا يمكن للرجل ان يعملها

المرأة ملكة مملكتها البيت المقدس وحماهُ الطاهر . رعاياها اهل البيت من كبيرهم الى صغيرهم وقوانينها قليلة تجمعها المحبة ويجريها الصبر ويقودها الحزم وتكللها الحكمة . وحيث يسود السلام لا تكثر القوانين . نعم هي العائلة وانتِ ربتها هناك تملكين وتظهر سياستك في ادارة البيت ونظامهِ وترتيبهِ هذا هو مقامك السني مقر السلام والسعادة الدنيوية . فما اجدرك وهذا مقامك ان تتأهبي لاستلامهِ . تشتركين في مجلات تنقل اليك الازياء الاخيرة أفلا تشتركين في المجلات التهذيبية مجلات التربية البيتية والعائلية ؟ تقرأين الروايات افلا تقرأين الكتب الاخلاقية ؟ ألا تدرسين شيئاً عن الفلسفة العقلية وكيفية نمو القوى العاقلة في الصغار وتطالعين شيئاً عن الاقتصاد السياسي وعلاقتهِ بمملكة البيت اذا كنت تفعلين هذا او شيئاً منهُ فنعمَّا انت وهنيئاً للمملكة التي ستملكين عليها فانها سعيدة مفلحة

والكلمة الخاتمة اننا نحن وهن كثيراً ما نغفل عن مقامنا الحقيقي في هذا الوجود القصير ونسعى في طرق معوجة للوصول اليهِ . وعندي ان من واجبات المدارس ان تغرس في عقول الطلبة وبالاخص الطالبات ان الغاية العظمى من الوجود النفع على اطلاقهِ واخصهُ ما ابتدأ بالعائلة وانشأ للهيئة البشرية افراداً ينفعونها ويعملون على ترقية الانسانية المتجسدة في بنيها والسلام

المدرسة الكلية في بيروت بولس خولي

نعيم الحياة وجحيمها

اخبرنا احد الفضلاء قبل كتابة هذه السطور ان رجلاً من اكبر اغنياء هذا القطر انتقل من مدينة الى اخرى واقام بضعة ايام يقابل المحامين ويحضر جلسات القضاة دفاعاً عن قيراطين من فدان. نغص عيشهُ وعيش ذويهِ لاجل امر لا ان ربحهُ زادت بهِ ثروتهُ ولا ان خسره نقصت . وهذا شأن كثيرين يقلقون ويمررون كاس الحياة لاجل امور طفيفة حقيقية كانت او وهمية وكانهم يضعون عوينات سوداء الزجاج على عيونهم فيرون كل شيءٍ بها مظلماً حتى النور. هذه هي السوداء الحاصلة من فساد الهضم وضعف الصحة وقلة الرياضة. خير دواءٍ لها الانقطاع عن الاشغال والمعيشة الخلوية في الهواء النقي حيث يكثر تجدد الدم فيجلو صدأ الهموم والغموم حقيقة لا مجازًا لان الدم المتجدد ينزع الفضول من البدن ويزيل الدقائق المتعبة من الدماغ ويضع بدلاً منها دقائق جديدة غير متأثرة بالمؤثرات السابقة فهو مثل من يدخل بيتاً لبس ذووهُ الحداد على فقد حبيب لهم فينزع عنهم ثيابهم ويلبسهم ثياباً بيضاء ويملا بيتهم بالمغنين والعازفين

واكثر ما يرى من ضيق الخلق وسوء الظن والشكوى من الدهر ناتج من كثرة الشغل وسوء الهضم وتجمع الفضول في البدن والدماغ ولذلك يضيق خلق الاولاد في اواخر النهار ويكثر قلقهم وتذمرهم وعلاجهُ الراحة والرياضة في الهواء النقي ليعود النشاط الى الدم وتزال الفضول من الجسم

زبدة اللوز

خذ ٢٢٠ درهماً من الشحم الجديد النقي و١٢٠ درهماً من مذوب البوتاسا (فيهِ ٢٦ في المئة من الباتاسا الكاوي) و١٠ دراهم من الالكحول (الذي الكحولهُ ٦٠ في المئة) وكمية كافية من زيت اللوز المر وامرث الشحم ومذوب البوتاسا في هاون من الزجاج او الصيني واتركهما بضع ساعات ثم اضف اليهما الالكحول وما يكفي من زيت اللوز المر وامرث الجميع معاً حتى يصير كالعصيدة في قوامهِ وكعرق اللؤلؤ في لونهِ

زبدة الكافور

خذ ست اواقي من زيت الزيتون وثلاث اواقي من الشمع الابيض النقي ونصف اوقية من الكافور. سخن هذه المواد معاً في حمام مائي وامزجها جيدًا وهي تستعمل للقشب وتشقق الاصابع ولدهن الشفاه ولتقوية الشعر

الزبدة الشركسية

خذ اربع اواقي من شحم الغنم الجديد وثلاث اواقي من زيت الزيتون واوقتين من مسحوق البخور الجاوي ونصف اوقية من جذر الشنجار . ضع هذه الاجزاء في اناء وسدَّهُ وضعهُ في قدر فيهِ ماء غالٍ قرب النار واتركهُ اربعاً وعشرين ساعة ثم صفهِ بخرقة ناعمة واتركهُ حتي يبرد وعطرهُ بقليل من عطر الورد او زيت اللوز او اي عطر آخر

الزبدة الباردة (كلد كريم)

خذ ٣٠ جزءًا من السبرمشيتي و٢٤ جزءًا من منّ السمك و١٦٨ جزءًا من زيت اللوز الحلو واذب الجميع معاً على نار خفيفة وضعهُ في مرطبان وامزجهُ جيدًا حتى يشتد قوامهُ ثم عطرهُ بماء الورد وزيت اللوز

الزبدة الباردة والبورق

خذ اوقية من الشمع الابيض واربع اواقي من زيت اللوز واوقيتين من ماء الورد ونصف درهم من البورق و٥ نقط من عطر الورد اذب البورق في ماء الورد بقليل من الحرارة واذب الشمع في الزيت وامزج هذه الاجزاء كلها معاً في ماعون وهي سخنة واضف اليها عطر الورد وانت تمزجها

نصائح لوقاية العين

(١) لا تقرأ ولا تكتب على نور ضعيف

(٢) يجب ان يقع النور على الكتاب او الورق من عن يمينك او من عن يسارك لا من امامك ولا من ورائك

(٣) لا تقرأ وانت متعب ولا انت ناقه من مرض

(٤) لا تقرأ وانت مستلقٍ

(٥) لا تستعمل عينيك مدة طويلة في وقت واحد بل ارحهما كلما استعملتهما مدة قصيرة

(٦) لا تنحنِ كثيرًا وانت تقرأ او تدرس

(٧) اختر الكتب الواضحة الحروف التي ورقها غير صقيل

(٨) شرب المسكرات وتدخين التبغ يضران العينين

(٩) اكثر من الرياضة في الهواء النقي

(١٠) اذا كتبت او درست على مائدة فليكن غطاؤها اخضر

(١١) غطِّ القنديل بزجاج ملون بلون اخضر او ازرق او ابيض

باب الزراعة

المحاريث الزراعية

يحدث مرارًا كثيرة ان تقع البلايا والمحن ببلاد فتجر اليها المنافع لا لان النفع يلزم عن الضر بل لان العقول تتنبه وتحتال الى دفع الضرر فتهتدي الى طرق النفع . ويظهر لنا انهُ سيحدث شيء من ذلك في هذا القطر على اثر الطاعون الذي فتك بالمواشي فقد نبه الناس الى جلب المحاريث البخارية والاعتماد عليها في حرث الارض

وقد كانت المحاريث البخارية معروفة في هذا القطر لكن كان استعمالها خاصًّا بارباب الزراعات الكبيرة وكانوا يقتصرون على استعمال محراث فَوْلر وهو آلتان بخاريتان كبيرتان تسيران على سكتين ممهدتين مرصوصتين على جانبي الحوض يصل بينهما حبل متين من الاسلاك المعدنية وتكون المحاريث متصلة بعضها ببعض بهذا الحبل فتجرها احدى الآلتين الى هذه الجهة ثم تجرها الاخرى الى الجهة الثانية . وتتقدم الآلتان رويدًا رويدًا كما جرّتا المحاريث ذهابًا وايابًا

ويعترض على هذا المحراث بغلاء الثمن فان ثمنهما يبلغ ثلاثة آلاف جنيه الى خمسة آلاف جنيه وبأن حبالها سريعة العطب ولا بد لها من سكك ممهدة ولذلك قال اللورد كرومر في تقريره الاخير " ان موت المواشي بسبب الوباء المنتشر الآن في القطر وجه الانظار الى استعمال المحاريث البخارية وفي البلاد كثير من تلك المحاريث ولكن نفقاتها كبيرة حتى لا يستطيع اقتناءها الا كبار المتمولين فلو امكن اختراع محراث رخيص الثمن ملائم لحاجات الفلاح المصري لحسنت بذلك حالهُ كثيرًا اذ يستطيع جماعة من صغار المتمولين ان يتحدوا معًا ويشتروا محراثًا واحدًا " (تقرير اللورد كرومر عن سنة ١٩٠٣ صفحة ٢٧ من الترجمة العربية)

ويظهر لنا ان امنيَّة اللورد كرومر قد تمَّت الآن بالمحراث البخاري الذي جلبهُ الخواجه نجيب صروف وشركاؤُهُ من اميركا فانهُ آلة بخارية رخيصة الثمن متقنة الصنع خفيفة الوزن جدًّا بالنسبة الى قوتها تسير على عجل عريض عرضهُ ستون سنتمترًا وتجرُّ وراءها محاريث من الصلب (الفولاذ) الشديد الصلابة والمرونة وهذه المحاريث او الاسلحة (كما تسمى في القطر المصري) قائمة على عجل ولها آلة ترفعها وتخفضها وتحرفها بمخل يمسكهُ رجل في يدهِ وهو جالس على مقعد فوقها فيستطيع الحرَّاث ان يعمق الحرث او يقلل عمقهُ كما يشاء . وقد جرّب هذا المحراث البخاري

امامنا في شبرا على مقربة من القاهرة ورآهُ جمهور غفير من ارباب الزراعة فشهدوا انهُ احسن محراث بخاري شاهدوهُ حتى الان

وقد وقف هذا المحراث دقيقة وهو يحرث وصُوّر صورة فوتوغرافية حفرت منها الصورة المقابلة بالحفر الكيماوي فهي كالاصل تماماً ولا يحتاج المحراث الأ الى مهندس عادي ورجلين يجلسان على المحاريث وقد يكتفى برجل واحد يدير المحراثين

ومما ثبت بالامتحان ان هذا المحراث يدور على نفسهِ بسهولة وسرعة وانهُ يسير على الارض المحروثة كما يسير على الارض المستوية ويحرث الارض الصلبة كما يحرث الارض اللينة وقد حرث امامنا فداناً وربع فدان في نصف ساعة من الزمان وكانت الارض صلبة جداً لانها كانت مزروعة قطناً في العام الماضي وزرعت فولاً تحت القطن من غير ان تحرث فبقيت خطوط القطن على حالها ثم جمع الفول منها فصلبت جداً قبلما جُرّب فيها المحراث البخاري . واجمع الذين شاهدوهُ يحرث فيها على ان المواشي لا تستطيع ان تجرّ فيها محراثاً وان الحرثة الواحدة بهذا المحراث في مقام حرثتين او ثلاث بالمواشي

وقد اشترى هذا المحراث الخواجات اسكندر ومهنا خوري حداد وهما من ارباب الزراعات الواسعة في هذا القطر واشتريا محراثاً آخر قبلهُ من نوعهِ وكتبا الى المقطم بالرسالة التالية قالا بعد الديباجة

"لقد مني القطر منذ نحو سنة بمرض المواشي الفتاك ولا يزال هذا المرض منتشراً فيهِ وهو اكثر فتكاً مما يذكر في نشرات مصلحة الصحة ولعل عدد المواشي النافقة مضاعف ما يذكر في النشرات الصحية ولذلك اخذ كثيرون من ارباب الزراعة يبحثون عن آلات حرث تقوم مقام المواشي خوفاً من بوار الارض لان المواشي هي الركن الاساسي للزراعة في الحرث والتصليح . ولو اتت هذه الآفة قبل ايجاد آلات بخارية للحرث لاستولى اليأس على الجميع ولكن الآلات البخارية تقوم مقام المواشي في كل ما يلزم لخدمة الارض وهي اوفى من المواشي واقل منها كلفة

وفي اول خدمة ارض القطن هذه السنة في شهر يناير وقبلهُ وبعدهُ كنا نسمع انين المزارعين وكانت المواشي تموت في اثناء الحرث وتعوّض بغيرها فتموت هذه ايضاً ولذلك اخذ كثيرون من صغار المزارعين يخدمون ارض القطن بطريق العزاق وهذا موجب لضعف النبات وقلة الجني وانما الضرورة ألجأتهم اليها . وهكذا حاصل الآن في الدراس لاسيما في الوجه القبلي فقد رأينا بأعيننا كثيرين من رجال ونساء الفلاحين يساعدون بعض الماشية الباقية عندهم بنوارج الدراس

وحيث ان عملنا الزارعة وكان من نصيبنا فقد المواشي كثيرنا مع استعمالنا اللقاح لها والكورنتينا عليها والتشديد على خدمة الزراعة الكي لا يدعوها تختلط بمواشي الغير وما أفاد ذلك شيئًا ولا أغني فتيلاً فاخذنا نبحث في شهر يناير الماضي عن آلات حرث بخارية حتى اهتدينا إلى محل الخواجا نجيب صروف وشركاه واطلعنا على ما عندهم من رسوم المحاريث وكثير من الآلات الزراعية المستعملة في اميركا ففضلنا المشتري منها لان اميركا بلاد زراعية وصناعية فتتقن الآلات وتطبقها على احتياجات الارض اي تقرن العلم بالعمل وفيها زراعات تشبه زراعات القطر المصري . وعليهِ اشترينا من هذا المحل محراثين بخاريين من ورشة جارسكوت لانهُ بلغنا ان هذه الورشة أرسلت محاريث بخارية وآلات زراعية أخرى الى برّ الاناضول وسورية فنجحت فيها تمام النجاح . والمحاريث التي اخترناها عبارة عن وابور يسير على الارض ويجر السكك وراءهُ وهو خفيف جدًّا حتى لا يغرز في الارض وقوي بالنسبة الى ثقلهِ حتى يسهل عليهِ السير وجرّ المحاريث وراءهُ ويمكن استخدامهُ للتقصيب والتزحيف ولادارة آلة دراسة . فوصل المحراث الاول في اوائل شهر ابريل الماضي قوتهُ ٢٢ حصان بخاري ووزنهُ ٨ طن وحالاً شغلناهُ في حرث ارض القطن ووجدناهُ في غاية الموافقة . ولزيادة تثبتنا من نتيجة حرثهِ وافضليتهِ على المواشي انزلناهُ في قطعة ارض مساحتها خمسون فدانًا لزرعها قطنًا فحرث اربعين فدانًا منها وجهين بعمق ٢٥ الى ٣٠ سنتي والعشرة افدنة الباقية حرثتها المواشي والآن يرى نبات الاربعين فدانًا اكثر نموًّا ونشاطًا عن نبات العشرة افدنة ومن يشاهدهما يظن ان بين الاول والثاني شهرًا من الزمان مع انهما زُرعا في وقت واحد والاربعون فدنًا حرثها المحراث البخاري وهي شراقي صلبة جدًّا والعشرة افدنة التي حرثتها المواشي التزمنا ان نرويها قبل حرثها لان المواشي لا تقدر على الحرث فيها

وبعد حرث الاربعين فدانًا نقلنا الوابور الى ارض اخراس لم يسبق زرعها لصعوبة كسرها فانها صلبة متماسكة بالحشائش التي فيها فحرثها وجهين واعدّت لزراعة النيلي الآتي وهي ١٠ فدن كانت تعطى مراعي للمواشي بثلاثة جنيهات جميعها . وبعد كسرها حضر من يريد استئجارها بستة اضعاف ما كانت تؤجر بهِ

وقد صادفنا بعض الصعوبات عند اول حضور هذا الوابور من عدم وجود عملة يجيدون العمل بهِ ومن تكرار وقوفهِ لاخذ المياه ومن عدم وجود كباري نقالة توضع فوق المصارف والترع الصغيرة حينما يراد نقل الوابور من زراعة الى اخرى . لكن العمال تمرّنوا حالاً وصاروا يجيدون العمل . وعملنا كوبري نقال من الخشب يفكك ويركب في بضع دقائق . ومسألة المياه

التي هي اهم امر حللناها هكذا : احضرنا برميل ماء على عربة يسع نصف متر مكعب وركبنا عليهِ طلمبا اميركانية ماصة كابسة قطرها بوصة ونصف وثمنها جنيهان ولها خرطوم استك يمتص من الترعة . فبعد ملء البرميل يجرهُ البهيم الى قرب الوابور ويدفع الماء منهُ بخرطوم من قماش الى صهريج الوابور وهكذا صار الوابور يشتغل بالاستمرار

اما مقطوعية هذا الوابور من الفحم فتختلف حسب سهولة الارض وصعوبتها من قنطار واحد في الساعة الى قنطار وربع . ويمكن حرث الارض بهِ بعد ريها بخمسة عشر يوماً الى عشرين يوماً في الصيف ونحو ضعف ذلك في الشتاء . ومتى زاد تمرن العمال فيمكن ايضاً استعمال حطب القطن وبوص الذرة بدل الفحم وانما يلزم حينئذٍ زيادة بعض انفار

وفي الارض الصلبة يجر هذا الوابور محراثاً واحداً فيهِ اربعة اسلحة عرضها معاً متر و٢٠ سنتي وفي الارض اللينة يجر محراثين فيهما ثمانية اسلحة عرضها متران و٤٠ سنتي

اما الوابور الكبير الذي جرب في ارض سعادة بوغوص باشا نوبار في شبرا فوزنهُ ٩ طن وقوتهُ ٣٠ حصان بخاري كونبوند وقد أُرسل الان الى الفيوم الى زراعتنا في شدموه وسيحرث قريباً في ارض اخراس لم تسبق زراعتها وبعد ذلك نشغل الوابورين في الارض المعدة لزراعتي الذرة والرز وهي شراقي جميعها لانهُ مؤكد ان حرث الارض الشراقي يزيد خصبها

ومقدار حرث الوابور الصغير من نصف فدان الى فدان في الساعة حسب صعوبة الارض وسهولتها والوابور الكبير ربما يزيد على ذلك ٣٥ في المئة لكن الحرثة الواحدة مثل حرثتين بالمواشي واننا ننصح لكل المزارعين الاقبال على مشترى المحاريث البخارية . والامل ادراج رسالتنا هذه افادة للعموم ولكم الفضل"

وكتب غيرهما من الذين شاهدوا هذا المحراث من ارباب الزراعة كتابة تنطبق على ما كتبا واتفق الجميع على انهُ احسن محراث بخاري شاهدوهُ حتى الآن . وقد ارسل الخواجه نجيب صروف وشركاؤهُ يطلبون آلات للدراسة يديرها هذا الوابور حينما يفرغ من الحرث وهي تقطع التبن وتدعكهُ جيداً حتى تأكلهُ المواشي بشهية . ويطلبون ايضاً قصاصيب كبيرة يجرها الوابور بدل المحاريث اذا اريد تقصيب الارض وسنصفها بعد وصولها وامتحانها

ويظهر بالحساب ان المحراث البخاري الذي يحرث عشرة افدنة فقط في النهار لا تزيد نفقاتهُ عن ١٦٠ غرشاً ثمن فحم وزيت وشحم واجرة مهندس ووقاد وحارث ورجل وبغل لجلب الماء . والحرثة الواحده بهِ مثل حرثتين بالمواشي فكأنهُ حرث عشرين فداناً ولذلك لا يزيد حرث الفدان الواحد بهِ على ثمانية غروش اذا كان الحرث مثل حرث المواشي . اما المواشي فلا يحرث

المحراث البخاري

الزوج منها اكثر من نصف فدان في اليوم واذا حسب ثمن علفها واجرة الانفار اللازمين للحرث والعناية بالمواشي بلغت نفقة حرث الفدان الواحد اربعين قرشاً على الاقل وهب انها لم تبلغ الاَّ ثلاثين غرشاً يبقى الحرث بالمحاريث البخارية ارخص جدًّا من الحرث بالمواشي ومن المحاريث الاخرى لان حرث الفدان بها يكلف ١٢٠ غرشاً . ثم ان آلة المحراث البخاري تصلح لادارة آلة الدراسة ولا ينفق عليها شيء الاَّ وقتما تشتغل واما المواشي فلا بدَّ لها من العلف والخدمة وقتما تشتغل ووقتما لا تشتغل

ويمتاز هذا المحراث على غيرهِ من المحاريث البخارية بخفَّة وزنهِ وقوَّة فعلهِ وسهولة ادارتهِ ورخص ثمنهِ وقلة نفقتهِ وبانهُ ليس فيهِ ادوات معرضة للتلف السريع

حشيشة الدينار

حشيشة الدينار نبات تستعمل ازهارهُ في عمل البيرة فتجعل لها الطعم الخاص بها حتى ان من يضع قليلاً من زهرها في فمهِ يشعر كأَنهُ يشرب البيرة

والمستعمل من حشيشة الدينار في عمل البيرة الازهار الانثوية وهي تجفَّف في افران خاصة بها قبل بيعها . ومن رأي الاستاذ مكنزي رئيس مدرسة الزراعة الخديوية ان جفاف الهواء في القطر المصري كافٍ لتجفيف هذه الازهار من غير فرن . فان كان الامر كذلك سهل زرع هذا في القطر المصري وقلَّت نفقاتهُ

ولابدَّ لهُ من ارض جيدة التربة حسنة الصرف كثيرة السماد . وهو يزرع من فسائل او عقل تقطع من القرامي القديمة . ولا يحمل حملاً كافياً قبل السنة الثالثة من زرعهِ . فهو من المزروعات الكثيرة النفقة جدًّا ولكنهُ اذا جاد بلغ محصول الفدان منهُ عشرين قنطارًا وقد يبلغ ثمن القنطار عشرين جنيهًا او ثلاثين ولكنهُ قد لا يجود فيبلغ حاصل الفدان قنطارين او ثلاثة وقد يكثر موسمهُ حيث يزرع بكثرة فيهبط ثمن القنطار منهُ الى جنيهين او ثلاثة

وقد جرب زرع هذا النبات في الجيزة من تقاوي انكليزية فلم تكن النتيجة حسنة ثم جُرّب من تقاوي اتي بها من كليفورنيا باميركا فكانت النتيجة حسنة جدًّا

وبلغ محصول حشيشة الدينار في الدنيا كلها ٢٩٠٠٠٠٠ قنطار سنة ١٩٠١ و١٥٣٣٤٠٠ سنة ١٩٠٢ وكان ثمن القنطار ٣٠٠ الى ٤٠٠ غرش سنة ١٩٠٢ و٦٨٠ الى ٧١٠ غرش سنة ١٩٠٣ و٦٦٠ الى ٧٣٠ سنة ١٩٠٤

الصرف بالمواسير

جرَّبت مصلحة الدومين التجربة التالية نيلت خمسة افدنة تنييلاً عاديًّا وزرعتها قطنًا فلم يحصل منها شيء

وحلَّت ٢١ فدانًا بالمصارف العادية وزرعتها قطنًا فبلغ متوسط محصول الفدان منها ١١٩ رطلاً من القطن الشعر اي نحو قنطار وخُمْس

ووضعت في ٢٦ فدانًا مواسير فخار للصرف تحت الارض وزرعتها فبلغ متوسط محصول الفدان منها ٣٨٤ رطلاً من القطن الشعر اي نحو اربعة قناطير

وزُرع البرسيم في القطعة الثانية والثالثة بعد القطن فجاد فيهما

وجُرّب السماد الكيماوي في هذه القطع فزاد بهِ محصول الفدان ١٣٠ رطلاً في القطعة الثانية و ٢١٤ رطلاً في الثالثة وكان السماد اربعة قناطير من الفصفات الاعلى وقنطارين وربع من نيترات الصودا وكبريتات الامونيا لكل فدان

القطن المصري

هبطت اسعار القطن المصري هبوطًا فاحشًا في شهر مايو فبلغ سعر الكنتراتات ليوليو ١٤٣٢/٣٢ ولنوفمبر من الجديد و٣٢/ ١٣٣٠ اي نحو ١٥ ريالاً و١٤ ريالاً وذلك في الثلاثين من الشهر وبلغت الواردات الى ٢٧ مايو ٦٤٥١٠٧٤ يقابل ذلك في العام الماضي ٥٦٩٥٤٥٣ وبلغت المتاخرات ١١٧٤٢١٣ يقابل ذلك في العام الماضي ٤٧٥٧٣٨ فسبب الهبوط كثرة المتأخرات او قلة المقطوعية بالنسبة الى المحصول. وقد نقص الوارد من القطن الاميركاني الى انكلترا نصف مليون بالة ونقصت المقطوعية نصف مليون بالة ايضاً. ونمو القطن الجديد جيد ولعلَّ مساحتهُ اوسع مما كانت في العام الماضي فاذا ناسبتهُ الاحوال الجوية الى آخر الفصل فالمرجح ان المحصول المقبل يكون اكبر من المحصول الماضي فاذا لم تزد المغازل التي تغزل القطن المصري فيبعد عن الظن ان يزيد ثمنهُ عمَّا هو عليهِ الآن ولكن المرجح ان مغازل القطن المصري وانوالهُ لابدَّ من ان تزيد كثيرًا عامًا بعد عام

ملجأٌ الزراعة المصرية

ان طاعون المواشي الضارب اطنابهُ الآن في القطر المصري فتح امام ارباب الزراعة ملجأً واسعًا يلجأون اليهِ وهو تقليل نفقات الزراعة مئة في المئة او اكثر وذلك باستخدام الآلات البخارية للحرث والتقصيب والتزحيف والدراسة كما يستعملونها الآن لرفع المياه وري الاطيان. فقد اجمع

الخبيرون بالزراعة ان حرث الفدان حرثة واحدة بالمواشي تكلّف لا اقل من اربعين غرشاً اذا حسب ثمن المواشي وثمن علفها واجرة الحراثين والكلافين واما الحرث بالمحاريث البخارية المتقنة فلا يكلف ربع ذلك فضلاً عن ان المحراث البخاري يحرث بسرعة فائقة ويغني عن عدد كبير من الانفار وتحضّر بهِ الارض سريعاً فلا تدعو الحال الى اخلائها من الزراعة زمناً طويلاً . وآلتهُ تستعمل لادارة آلة دراسة في الوقت الذي تستعمل فيهِ للحرث او لجر القصاصيب والزحافات لتقصيب الارض وتزحيفها . ويظهر باقل نظر ان هذا الملجأ يقلل نفقات الزراعة فيزيد ربحها رغماً عن هبوط الاسعار ولذلك لا نعجب اذا شاعت وابورات الحرث في هذا القطر شيوع وابورات الري فيهِ او اكثر

باب التقريظ والانتقاد

دلائل الاعجاز للجرجاني

الامام عبد القاهر الجرجاني من كبار ايمة العربية وكتابهُ دلائل الاعجاز من خيرة كتبهِ وضع فيهِ كثيراً من قواعد علم البيان قبل ان جمعها السكاكي . قال ابن خلدون "ان جعفر بن يحيى والجاحظ وقدامة وامثالهم كتبوا فيهِ املاءات غير وافية ثم لم تزل مسائل الفن تكمل شيئاً فشيئاً الى ان محض السكاكي زبدتهُ وهذب مسائلهُ ورتب ابوابهُ" . وحبذا لو بحث احد عن كيف انتبه كتّاب العربية الى الكتابة في هذا الفن وهل جاروا فيهِ غيرهم من السريان والفرس والروم او استنبطوهُ استنباطاً

وانشاء الدلائل مستحب عند بعض الكتّاب لكنهُ لا يخلو من التطويل والتكرير كقولهِ "ان ههنا دقائق واسراراً طريق العلم بها الروية والفكر . ولطائف مستقاها العقل . وخصائص معان ينفرد بها قوم قد هدوا اليها . ودلوا عليها . وكُشف لهم عنها . ورفعت الحجب بينهم وبينها . وان يبعد الشأو في ذلك وتمتد الغاية ويعلو المرتقى ويعز الطلب ." وكثير من الكتاب على هذا النحو وهو اسلوب جرى عليهِ الكتّاب حينما صارت الكتابة صناعة وصار اربابها يستوزرون لتفوُّقهم بها على غيرهم . واسلوبهُ في شرح مسائل العلم على غاية البسط كقولهِ في معنى الفصاحة "ان سبيل المعاني سبيل اشكال الحلي كالخاتم والشنف والسوار فكما ان من شان

هذه الاشكال ان يكون الواحد منها غفلاً ساذجاً لم يعمل صانعهُ فيهِ شيئاً اكثر من ان يأتي بما يقع عليهِ اسم الخاتم ان كان خاتماً والشنف ان كان شنفاً او ان يكون مصنوعاً بديعاً قد اغرب صانعهُ فيهِ . كذلك سبيل المعاني ان ترى الواحد منها غفلاً ساذجاً عامياً موجوداً في كلام الناس كلهم ثم تراهُ نفسهُ وقد عمد اليهِ البصير بشأن البلاغة وإحداث الصوَر في المعاني فيصنع فيهِ ما يصنع الصانع الحاذق حتى يغرب في الصنعة ويدق في العمل ويبدع الصياغة وشواهد ذلك حاضرة لك كيف شئت وامثلتهُ نصب عينيك من اين نظرت . تنظر الى قول الناس " الطبع لا يتغير ولست تستطيع ان تخرج الانسان عمَّا جبل عليهِ " فترى معنى غفلاً عامياً معروفاً في كل جيل وامة ثم تنظر اليهِ في قول المتنبي

يراد من القلب نسيانكم وتأبى الطباع على الناقلِ

فتجدهُ قد خرج في احسن صورة وتراهُ قد تحول جوهرة بعد ان كان خرزة وصار اعجب شيء بعد ان لم يكن شيئاً

وكل ذلك حسن في بابهِ ولكن ما قول الجرجاني لو اريد صوغ المعدن سيفاً او مدفعاً او بارجة او قاطرة او شيئاً آخر مما منهُ فائدة لا مما يقصد بهِ التزين والتحلي فان السيوف والمدافع اوالبوارج والقواطر تصير في ايدي الصاغة العاباً يتلهَّى بها الاطفال ويضحك منها الرجال

والكتاب كبير في اكثر من اربع مئة صفحة وقد وقف على تصحيح طبعهِ وعلَّق حواشيهُ حضرة العالم الفاضل والمنشيء البليغ السيد محمد رشيد رضا منشىء مجلة المنار الاسلامي وقال في خاتمة الحقها بهِ ما نصهُ

"ولما هاجرت الى مصر لانشاء مجلة المنار الاسلامي في سنة ١٣١٥ وجدت الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رئيس جمعية احياء العلوم العربية ومفتي الديار المصرية مشتغلاً بتصحيح كتاب دلائل الاعجاز وقد استحضر نسخةً من المدينة المنورة ومن بغداد ليقابلها على النسخة التي عندهُ وقد عني بتصحيحهِ اتم عناية واشرك معهُ فيها امام اللغة وآدابها في هذا العصر الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي وناهيك بكتاب اجتمع على تصحيح اصلهِ علاَّمتا المعقول والمنقول . وبعد ان اتمَّ الاستاذ الامام تدريس كتاب اسرار البلاغة في الجامع الازهر عهد اليَّ بان اطبع كتاب دلائل الاعجاز بعدهُ فشرعت في الطبع وشرع هو في التدريس . وبذلت الجهد في تصحيحهِ وفسرت بعض الكلمات الغريبة فيهِ وفي شواهدهِ بالاختصار واشرت الى اختلاف النسخ اخذاً مما كتبهُ الاستاذ على هامش النسخة التي طبعناعنها" . والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد جداً

الجزء الثاني من ديوان الرافعي

بشرنا الشاعر المطبوع مصطفى افندي صادق الرافعي انهُ شرع في طبع الجزء الثاني من ديوانهِ مشروحاً بقلم اخيهِ المنشىء البليغ محمد افندي كامل الرافعي . وقد قدَّم لهُ مقدمة مسهبة آخذ فيها شعراء العصر فقال ان مثل شعر اليوم والشاعر مثل السفينة يطوف بها المحيط من لا يحسن السباحة في لجهِ فاذا انقلب عنها لا يرجع حتى تكون لجسمهِ تابوتاً . ولم تكن هذه السماء التي فوقنا اليوم تحت غيرنا من قبل ولا كانت البلاغة شيئاً يباع و يشترى ولكنهُ الضلال في النشأة والقصور في اسباب الصنعة والجهل بالمقاصد وضعف اللغة الى حد النزع بحيث لم يبقَ الاَّ نفَسها الذي ينطق بروحها

ونقل عن عمرو بن العلاء قولهُ عن شعر المولدين " ما كان من حسَن فقد سُبقوا اليهِ وما كان من قبيح فمن عندهم . . . ليس النمط واحداً ترى قطعة ديباج وقطعة مسح وقطعة نطع " ثم قال " ذلك والشعراء متوافرون على انهُ رحمهُ الله لو سمع اكثر شعر اليوم لزاد وقطعة نعل " . وآخذ المترجمين فقال انك لا تعرف في منظومهم روح التأثير التي هي حياة الشعر بل تجد عليهِ من فساد التكلُّف ومغالبة الطبع واثر الاستكراه وفيهِ من المعاني المدخولة ما لا تشك معهُ انهُ من مضاغة قائلهِ الاول

ولا ندري ما يقول الشعراء متى اطَّلعوا على هذا القول . ولو كان الكاتب شيخاً همّاً لقلنا انها شنشنة الطاعنين في السن لا يرون حسنة الاَّ للاقدمين ولكن الشعر من اول عهد الناس بهِ الى الآن كما قال فيهِ ابو الطيب

ان بعضاً من القريض هذاء ليس شيئاً وبعضهُ احكامُ
منهُ ما يجلب البراعة والفضـل ومنهُ ما يجلب البرسام

وسيكون الديوان حسن الطبع مسهب الشرح كما رأينا من الكراس الذي ورد علينا منهُ

اشهر مشاهير الاسلام

الجزء الثالث

هو كالجزئين السابقين جامع لزبدة ما في تواريخ العرب وفصولاً اقتضاها البحث استطراداً اعرب فيها المؤلف المحقق رفيق بك العظم عن فكر ثاقب ورأي صائب وغيرة متقدة على صلاح امتهِ وملتهِ . والكلام فيهِ عن القواد الثلاثة العظام ابي عبيدة بن الجراح وسعد بن

ابي وقاص وعمرو بن العاص الذين رفعوا راية الاسلام في مصر والشام والعراق . والمواضيع التي طرقها المؤلف في عرض الكلام عنهم كثيرة وقد عقد لبعضها فصولاً خاصة من ذلك فصل في العمال رأينا ان ننقلهُ عنهُ برمتهِ دلالة على اسلوب المؤلف في بحثهِ قال

" اعلم ان عمران الممالك وترقي الدول يتوقف على امرين عظيمين هما صبغة الحكومة وامانة الرجال فالحكومة اذا كانت ذات صبغة دستورية اي حكومة مقيدة برأي الامة خاضعة لسلطة الشورى سعدت بها المملكة لغلبة الامانة في رجالها على الخيانة والعدل على الظلم . وانما تغلب الامانةُ الخيانة في رجال هذه الحكومة لما هناك من الهيمنة الشرعية على الحاكم من المحكوم اذ الظلم كمين في النفس القوة تظهرهُ والعجز يخفيهِ وانما يمنع النفوس ان تنزع منازع الظلم مانع القوة وهو هيمنة الشعب القانونية . هذا في الحكومات الشورية واما في الحكومات المطلقة فمانع تلك النفوس عن الظلم احد امرين . اما الزاجر النفسي وهو الشعور الديني الناشيء عن الورع والتقوى الباعثين على الخوف من بارىء النفوس : واما سيطرة السلطان وهذه لاتكون في الحكومات المطلقة الاَّ من امير مستبد عادل اذ المستبد الظالم شأنهُ مع عمالهِ شأنهم مع الرعية فلا سيطرة لهُ على العمال ولا يرجى منهُ الخير

" ومما لا مشاحة فيهِ ان الحكومة الاسلامية في مبدإ ظهورها كانت كما رأيت فيما مرَّ من هذا الكتاب تشبه من بعض الوجوه الحكومة الشورية كما انها لم تخلُ من صبغة استبدادية وكيف ما كان حالها فقد علمنا ان العمال احوج ما يكونون الى المراقبة ليقوم بهم عمران البلاد وتنتظم شؤُون المملكة . وسواء قدّرنا ان هيمنة عمر بن الخطاب الشديدة على عمالهِ كانت مستمدة من قوة السلطة المطلقة او من قوة السلطة القانونية او مشتركة بينهما فقد ساعدهُ مانع القوة اي قوة الهيمنة الشرعية ومانع الدين على ان ينزع من نفوس العمال آثار الظلم ويبسط بواسطتهم للرعية الطمأنينة والعدل لتتمهد للمسلمين سبل الفتح ويرتاح الشعوب المغلوبون لحكم الاسلام ويتفيئوا ظلال السكون ويتبسطوا في مناحي العمران فما كان يختار للحكم والامارة الاَّ احد رجلين رجل لهُ دين يردعهُ او رجل عندهُ خوف يمنعهُ . وكلا الرجلين بالاضافة الى غرض الرعية والامام واحد "

" فمن عمالهِ الذين كان لهم دين يردعهم ابو عبيدة بن الجراح وكثيرون غيرهُ ومع ما عرف عن هذا الصحابي الجليل والعامل الامين والقائد العظيم من الاناة والرفق ولين الجانب والورع والزهد فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنهُ لا يتساهل معهُ بحق من حقوق الهيمنة عليهِ والنظر في سيرتهِ كما لم يتساهل مع غيرهِ ايضاً ممن هو في طبقتهِ في الورع او ممن هو دونهُ فيهِ وذلك

قياماً على اوامر الشريعة واداء لحق الهيمنة على تمشية قوانين الشرع على نهج السداد وحرصاً على رضى الله والرعية"

" روى ابن عساكر ان عمر بن الخطاب ارسل الى ابي عبيدة باربعة آلاف درهم أو أربعمائة دينار وقال للرسول انظر ما يصنع فقسمها ابو عبيدة. ثم ارسل بمثلها الى مُعاذ فقسمها معاذ الاَّ شيئاً قالت لهُ امرأتهُ نحتاج اليهِ. فلما اخبر الرسول عمر قال الحمد لله الذي جعل في الاسلام من يصنع هذا"

" هكذا كان عمر يمتحن حتى انتقى عمالهِ وأرفقهم بالرعية وآمنهم على امور الناس واحكام الشرع لهذا بلغ العدل في عصرهِ غاية ليس وراءها زيادة لمستزيد وامتدَّ سلطان المسلمين على قسم عظيم من الارض لم يسمع لسكانهِ شكوى من خيانة عامل في عملهِ وظلم في حكمهِ بل كانت الرعية قاطبة راضية عن حكم الاسلام متمتعة بالراحة آخذة في طريق الصعود الى قمم السعادة الاجتماعية والحياة المدنية. آمنة من شرور الفتن التي يضطرب لاجلها حبل الدولة ويختل نظام الاجتماع. ومن تصفح تاريخ الاسلام ووقف على أخبار دولهِ لا يرى سبباً لاختلال امر دولة قط الاَّ خيانة العمال وجورهم وتساهل الملوك في الاخذ على ايديهم اما بحكم الضرورة او بحكم الضعف وسوء السياسة شأن كل الدول ايضاً لا دول الاسلام وحدها"

"وانا لنعجب من غلو بعض المؤرخين في ذم الحجاج بن يوسف الثقفي عامل دولة بني مروان على العراق وانما يحوج الى الحجاج من هو مثل الحجاج اذ العامل الخائن اذا افسد قلوب الرعية بجورهِ وقبح سيرتهِ يثير في نفوسها ثائر البغضاء على الدولة ويحفظ عليها قلوب الامة فتستعصي على الحاكم ويخرج امتلاك ازمتها عن طوق الدولة الاَّ باستعمال مثل الحجاج قوي الشكيمة قليل الرأفة. هذا في الدول المطلقة كدولة الامويين واما في الدول المقيدة فقلَّ ان يكون شيء من هذا وذاك وعلى تقدير حصولهِ فالرأفة تقوم مقام العنف والعدل يغني عن استعمال القوة والانسان اسير الاحسان وغاية ما يرمي اليهِ الطمأنينة والامان. وحسبك شاهداً على هذا ان الخليفة عمر بن عبد العزيز الاموي لما نحا في الحكم والامارة منحى عمر ابن الخطاب من حيث العدل وتتبع سيرة العمال وانتقاء اخيار الناس للولايات تألف قلوب الامة واستلم قياد الرعية بعد ان انفضُّوا من حول بني مروان ثم لم يلبث ان عاد المروانيون بعدهُ الى سيرتهم حتى ضعف امرهم وغُلبوا على ملكهم لتفرق القلوب وانفضاض الناس من حولهم وما كان ذلك الاَّ من اطلاق يد العمال وامعان هؤلاء في الجور. هذا بقطع النظر عن بعض الخلفاء الامويين الذين كانوا من حسن السيرة والقيام على العدل بحيث لا يخرج عليهم خارج اباءً لحكمهم

او تظلُّماً منهم وانما ذكرنا بني مروان مثالاً في الدول التي اصابها الضعف وقضى عليها سوء الادارة وجور العمال بالانحلال كما انا كتبنا هذا الفصل ليكون مقدمة لما عساهُ يرد معنا من أخبار الدول في الغابر . وعظة يتعظ بها الحاضر . وانا والله اصبحنا في عصر احوج ما نحتاج اليهِ فيهِ معرفة العلل التي تمكنت من جسم الدول الاسلامية فأودت بحياتها الاستقلالية الى ما يعلم ويشاهد ورحم الله امرءًا اتعظ واعتبر . وقوماً اثر في نفوسهم توالي العبر"

والكلام عن فتح مصر مسهب بالنسبة الى ما في كتب العرب ولكنهُ موجز بالنسبة الى ما كتبهُ المحققون من الاوربيين في هذا الموضوع فان كتاب بطلر الذي اشار اليهِ المؤلف يملأ نحو ثلثمئة صفحة من صفحات المقتطف لو ترجم الى العربية وسنلخص بعض فصولهِ كما لخصنا ما كتبهُ عن المقوقس

وقد طلبنا من المؤلف الفاضل لما قرظنا الجزء الثاني من تاريخهِ ان يزيدنا تحقيقاً في الخبر الذي ذكرهُ الواقدي وتداولتهُ تواريخ الافرنج عن اتباع خالد بن الوليد بعض الذين اجلوا عن دمشق وقتلهم . فاجابنا في هذا الجزء" ان تاريخ الواقدي من كتب المغازي والقصاصين التي لم يعرَف واضعوها الى الآن وانما نُسب هذا الكتاب الى الواقدي لكثرة ما عُرف عن الرجل من رواية الاخبار . هذا من وجه ومن آخر فان الثقات من اهل الاخبار والمحدثين يوهنون رواية الواقدي فلو فرض صحة نسبة الكتاب اليهِ فانهُ عندنا غير موثوق "

فن الولادة

يندر ان يطبع كتاب علمي في العربية وتنفد نسخهُ كلها ولو مرَّت عليهِ السنون الطوال لكن هذا الكتاب كان من نصيبهِ سرعة الانتشار حتى نفدت نسخهُ لشدَّة الحاجة اليهِ فرأى مؤلفهُ الفاضل صاحب السعادة الدكتور عيسى باشا حمدي الذي كان رئيساً للمدرسة الطبيَّة المصرية وطبيباً للعائلة الخديوية ان يعيد طبعهُ بعد ان يضيف اليهِ فصولاً وتحقيقات شتَّى مما اقتضاهُ تقدم العلوم الطبية والجراحية . ويظهر مقدار الزيادة فيهِ من ان اشكالهُ كانت في الطبعة الاولى ١٦٦ شكلاً فبلغت في هذه الطبعة الثانية ١٩٩ شكلاً واكثر الزيادة فيهِ الوقاية من التعفن النفاسي وعلاجهُ والرضاعة على انواعها وتعقيم اللبن وكشف ما فيهِ من المواد والفطام وزمنهُ وكيفيتهُ والضعف الخلقي الذي يولد فيهِ الاطفال وما يناسبهُ من التحفظات الى غير ذلك مما زادت بهِ فائدة الكتاب فنشكر لحضرة مؤلفهِ ونتمنى ان يقتدي بهِ غيرهُ من الذين الفوا كتباً علمية باللغة العربية ثم جدَّت في موضوعها مباحث كثيرة لا يصحُّ ان تبقى غُفلاً منها

باب المسائل

فتحنا هذا الباب منذ اول انشاء المقتطف ووعدنا ان نجيب فيهِ مسائل المشتركين التي لا تخرج عن دائرة بحث المقتطف . ويشترط على السائل (١) ان يمضي مسائلهُ باسمهِ والقابهِ ومحل اقامتهِ امضاء واضحاً (٢) اذا لم يرد السائل التصريح باسمهِ عند ادراج سؤالهِ فليذكر ذلك لنا ويعين حروفاً تدرج مكان اسمهِ (٣) اذا لم ندرج السؤال بعد شهرين من ارسالهِ الينا فليكررهُ سائلهُ فان لم ندرجهُ بعد شهر آخر نكون قد اهملناهُ لسبب كافٍ

(١) الحركة الدائمة

مصر . س . ك ما قولكم في الحركة الدائمة هل هي معقولة يمكن الوصول اليها فقد عرفت رجلاً ساعاتياً في بيروت قضى خمسة عشر عاماً يشتغل في هذا السبيل حتى نفد عمرهُ ومالهُ فهجر وطنهُ الى اميركا وكان بحثهُ في هذا الشأن وبالاً عليهِ . وعرفت مهندساً في لبنان بحث عن الحركة الدائمة وتوفرت لديهِ الدراهم فعمد الى استخدام البحر واضطرابهِ واعدَّ لذلك المباني والآلات فثار البحر وهدم المباني ولم يهدم آمال المهندس فهل لكم قول في هذا المعنى يكشف الحقيقة فيكون فصل الخطاب وعسى ان لا تحيلونا على ما كتبتموهُ في السنين الماضية لانهُ لا يسهل علينا الوصول اليها

ج لقد كتبنا فصولاً مسهبة في هذا الموضوع ابنا فيها بالدليل انهُ يستحيل ان توجد حركة دائمة . ونقول الآن بالاختصار ان ما كان يتوخاهُ المهندس اللبناني ليس ايجاد حركة دائمة بل استخدام حركة الامواج كما تستخدم حركة الرياح في مطاحن الهواء وتعذَّر عليهِ ان يتحكم في حركة ماء البحر كما انذرناهُ حينئذٍ وهذا لا ينفي التحكم فيها اذا خالطها المدُّ لانهُ يسهل حينئذٍ استخدامها لرفع ماء البحر الى حوض عالٍ ثم ينصبُّ الماء رويداً رويداً من ذلك الحوض فتكون منهُ قوة متصلة

اما طلاَّب الحركة الدائمة فيريدون ان يكتشفوا حركة مستمرَّة اي حركة تتوالى ولا تنقص ابدًا من غير ان يزاد عليها شيء لانها اذا نقصت ولو قليلاً تلاشت بعد حين . ولا بدَّ من هذا النقص لان الجسم المتحرك يقاوم قوات تعيقهُ عن الحركة كجاذبية الارض وسكون الهواء والاحتكاك بالمحور الذي يدور عليهِ وقد يمكن تقليل هذه المقاومات جداً ولكن لا يمكن ازالتها كلها فتزيل جزءًا صغيراً من حركة الجسم كل لحظة من الزمان الى ان تلاشى حركتهُ كلها اذا لم تضف اليهِ قوة جديدة تردهُ الى الحركة فهو مثل صندوق فيهِ نقود تنفق منهُ فلا بد ان يفرغ اذا لم تضف اليهِ نقود أُخرى

والذين يحاولون عمل آلة تتحرك من نفسها حركة دائمة يلجأُون احيانًا الى بعض القوى الطبيعية كمرونة الاجسام وزيادة الثقل بالبعد عن المركز ولكنهم يغفلون عن ان القوة الطبيعية لا تتكرَّر الاَّ اذا عاد الجسم الى المكان الذي كان فيهِ حينما فعلت بهِ اولاً ويستحيل ان يعود الى وضعهِ الاول تمامًا لانهُ يخسر جانبًا من القوة بالاحتكاك ومقاومة الهواءِ كما تقدم فيقل فعل القوة الطبيعية رويدًا رويدًا . وذلك واضح في حركة رقاص الساعة وحركة الاجسام المرنة التي ترمى على سطح صلب صقيل وهلمَّ جرًّا

(٢) نمو الشعر

المنتزه بدران افندي احمد . ان شعر الرأس والبدن لا ينمو على مقدار واحد فشعر الرأس واللحية اكثر نموًّا من شعر الشاربين والابطين وهذا اكثر نموًّا من شعر البدن مع ان الجسم واحد والغذاء واحد فما سبب هذا الاختلاف

ج نمو الشعر الآن جارٍ على ناموس الوراثة اي انهُ سائر بالاستمرار على ما استقرَّ عليهِ في الوالدين ولكن السبب الاصلي الذي جعل شعر الرأس واللحية ينمو اكثر من شعر الشاربين والابطين والبدن لا يعلم تمامًا . وقد ذهب دارون الى انهُ من قبيل الانتخاب الجنسي اي ان النساء والرجال استحسنوا طول الشعر في رأس الرجل والمرأة وطولهُ في لحية الرجل لمجرَّد الزينة فصار طوال الشعر يُرغَب في زواجهم وزواجهنَّ اكثر من قصار الشعر وكثر نسلهم فتغلَّب على نسل قصار الشعر. وهذا المذهب لا يفسر كل ما يتعلَّق بطول الشعر وقصرهِ ولكنهُ اقوى المذاهب المعروفة حتى الآن

(٣) تأثير نور القمر

ومنهُ . اصحيح ما يقال من ان لنور القمر تأْثيرًا في جسم الانسان وفي الاشجار ايضًا

ج ان كان لهُ شيءٌ من التأْثير فلا يكون تأْثيرهُ كما يزعم العامَّة . لكن الناس اعتادوا من قديم عهدهم ان يجعلوا بعض احتفالاتهم الدينية في ضوء القمر ولا يبعد انهم كانوا يرقصون فيها ويوغلون في التهيج العصبي حتى صار ذلك ينتابهم كلما هلَّ القمر او اكتمل فنسب هذا التأْثير الى القمر مع ان القمر علَّة معية لا علة سببية . ولا يعلم للقمر تأْثير في النبات الاَّ اذا كان النور والظلام يؤَثران فيهِ

(٤) قوس قزح

ومنهُ . من اي شيء يتكون قوس قزح وما علاقتهُ بالمطر

يتكون من مرور النور في نقط المطر وانحلالهِ الى الوانهِ السبعة فان اشعة النور على درجات مختلفة من سرعة التموج واتساع الامواج وهي مختلفة الالوان كما نرى في قوس

قزح ولكنها متى اجتمعت معاً يظهر لها لون واحد فاذا مرّت في جسم شفاف غير متوازي السطحين انكسر بعضها اكثر من بعض لاختلافها في السرعة فافترقت بعضها عن بعض ورأتها العين بالوانها المختلفة كما يتضح لك من وضع قطعة من الزجاج موشورية الشكل في طريق النور فان النور النافذ منها ينحل الى الوانهِ السبعة وهي مثل الوان قوس قزح . ونقط المطر كروية الشكل اي غير متوازية السطوح فتدخلها اشعة نور الشمس وتنعكس فيها ثم تنعكس عن سطحها الباطن وتنفذها ثانية محلولة الى الوانها ولا ترى العين من الاشعة كلها الداخلة الى نقط المطر والراجعة منها سوى ما كان منها على زاوية معلومة لاسباب طبيعية شرحناها في المقتطف غير مرة فيتكون من مجموع الاشعة التي تراها العين قوس كبيرة هي قوس قزح .ولا يخفى ان موقع هذه القوس يجب ان يكون مخالفاً لموقع الشمس فاذا كانت الشمس في الشرق فالقوس تكون في الغرب واذا كانت الشمس في الجنوب فالقوس تكون في الشمال فاذا وقفتَ في مكان وكانت الشمس الى الشرق منك وكانت نقط المطر الى الغرب فان اشعة نور الشمس تقع على نقط المطر ثم ترتد من باطنها الى عينيك محلولةً فتراها آتية من جهة غربية

اما علاقة القوس بالمطر فلانها لا تتكون الاَّ بواسطة نقط المطر كما تقدَّم

(٥) مستعمرات الانكليز

دسوق . عبد الرحمن جميعي . كيف تمكَّن الانكليز من تأسيس مستعمراتهم وكيف يحكمونها الآن

ج بلاد الانكليز جزائر يسهل ارتقاء الصناعة والتجارة فيها لانها كثيرة الحديد والفحم الحجري والبحر يحيط بها من كل ناحية وهو كثير الخلجان وليس فيها من الحاصلات الزراعية ما يكفي اهلها فلما كثروا اضطروا ان يركبوا البحار ويتجروا بمصنوعاتهم فاوصلتهم التجارة الى اميركا والهند وافريقية وجزائر البحر مقتفين خطوات اهالي البرتوغال واتفق ان بعض البلاد التي دخلوها كانت احكامها مختلَّة معتلَّة او كانت خالية من الاحكام فكانوا يضطرون ان يلجأُوا الى القوة دفاعاً عن انفسهم . والقوة تدعو الى الغلب والتملك والاستيطان . ولو كانت بلاد الانكليز زراعية واسعة التخوم تسع اهاليها مهما كثروا لاكتفوا بها على الغالب ولم يهاجروا الى بلاد اخرى

ويظهر من ارتقاء الشعوب الذين تملكهم الامة الانكليزية انها تعدل فيهم وبعضهم يكاد يكون مستقلاً عنها استقلالاً تامًّا كاهالي كندا واستراليا وزيلندا الجديدة

(٦) تكوُّن الامم

ومنهُ . ما معنى قول بسمارك

Ce n'est pas les discours que font les nations, c'est par le fer et le sang.

ج ان ترجمة عبارتهِ واضحة وقد كني بالحديد عن السلاح وبالدم عن الحرب فكأنهُ قال ما قالهُ الشاعر العربي

السيف اصدق انباء من الكتب
في حدهِ الحد بين الجد واللعب

(٧) سبب الانتفاض

البحرين . احد المشتركين ما سبب الانتفاضة الاضطرارية التي تعتري الانسان في بعض الاحيان فان البدن ينتفض منها كلهُ اضطرارًا بعض ثوانٍ . وهل ما يدعيهِ الشعراء من الانتفاض في حالة التذكر صحيح

ج الانتفاض فعل عصبي من نوع الافعال الواردة الى الدماغ يحدث من تأثير شيء مكروه يفاجيء الانسان كالبرد الشديد والمناظر القبيحة والاصوات المنكرة والعطوم الكريهة والاخبار المقلقة وقد يحدث عن تذكر هذه المؤثرات . وهو في الاصل فعل حيوي يقصد بهِ دفعها عن الجسم . وترى شيئًا من ذلك في الحيوان فاذا وقعت ذبابة على ظهر فرس وهو يأكل ارتجفت عضلات جلدهِ حيث تقع الذبابة زجرًا لها . اما عضلات جلد الانسان فضعفت لقلة استعمالها بعد ان صار يقي بدنهُ بالثياب ويحرك يديهِ كيف شاء ولكن المؤثرات الفجائية تنبه القوى الخاملة فتهيج عضلات الجلد وما تحتها الى الحركة دفعًا للمؤثرات وذلك مثل من ربي في صغرهِ على الحلف والبذيء من الكلام ثم تهذب وعاشر اقوامًا يكره ذلك في مجتمعاتهم فانهُ يعود الى الحلف والنطق بالكلام البذيء اذا تهيج بغتةً فافلت منهُ قياد طبعهِ

(٨) تاثير الحرب في الشرق

دمشق . م . خالد . ذكرتم ما للشرق الاقصى من الفائدة العظيمة اذا كان هو الغالب وقد بقي امر آخر فنرجو ان تبينوا لنا هل للشرق الادنى فائدة من ذلك او مضرَّة فان هذا اعظم ما تتشوَّف اليهِ نفوسنا

ج . يرجح كثيرون من رجال السياسة ان فوز اليابان على روسيا يحمل روسيا على مهاجمة الدولة العلية وبلاد ايران حتى تجد لها منفذًا الى بحر من البحور وحتى تشغل شعبها بما يردُّ لهم كرامتهم واذا عارضتها انكلترا في ذلك تصدَّت لها المانيا وفرنسا فتستعر نار الحرب في اوربا

(٩) التعريب

ومنهُ . نرجو ان تذكروا لنا رأيكم في التعريب واية طريقة تختارون التعريب بالمعنى او المحافظة على الالفاظ . والظاهر مما تعربونهُ في المقتطف انكم تلخصون ما تقرأونهُ وقلما تعربون بالحرف الواحد

ج . اننا نلخص غالبًا ولا نترجم ترجمة الاَّ اذا اردنا الاحتفاظ بمعاني الكاتب كلها وحينئذٍ نعمد الى المعنى ونحسب انهُ خطر لنا ونريد التعبير عنهُ بالعربية فاذا كان من المعاني المألوفة التي اعتاد كتابنا التعبير عنها جرينا

على اسلوبهم واذا كان غير مألوف او لم يخطر على بالنا تعبير عربي يقوم مقامهُ ترجمناهُ باقرب ما يدلُّ عليهِ مما يخطر على بالنا . واذا راقنا اسلوبهُ ولم نجد لهُ مقابلاً في العربية ابقيناهُ على حالهِ حاسبين ان العربية تكتسب باضافة التعبيرات الحسنة اليها ولو كانت غير عربية وقد جرى على ذلك المترجمون المتقدمون الذين ترجموا عن اليونانيــة والفارسية والسريانية وسنزيد ذلك تفصيلاً

باب الاخبار العلمية

تمثال الدكتور بلس

احتفلت المدرسة الكلية السورية مساء السادس من شهر مايو بكشف الحجاب عن التمثال الذي صنعهُ متخرجو المدرسة الكلية المقيمون في القطر المصري والسودان لرئيسها الاول الاستاذ اللاهوتي الفاضل الدكتور دانيال بلس وكانت اللجنة التنفيذية المقامة لعمل هذا التمثال قد اوفدت سكرتيرها نسيم افندي برباري الى بيروت لهذه الغاية ففي الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم دخل الدكتور بلس بجحفل من اساتذة المدرسة الذين فيها الآن والذين كانوا فيها وخرجوا منها ومعهم قنصل دولة اميركا الجنرال في بيروت ورأس الاحتفال حضرة الفاضل الدكتور هورد بلس الرئيس الحالي وتلا حضرة نسيم افندي برباري كتاباً عربياً من رئيس لجنة التمثال ثم ارتجل خطبة باللغة الانكليزية قالت النشرة الاسبوعية "انهُ احسن فيها ما شاء بمديح الرئيس الاول على استفراغهِ المجهود في نفع شباننا بمساعيهِ واتعابهِ كما احسن الثناء الطيب على حضرة قرينتهِ الفاضلة التي بذلت ما في الطاقة في مساعدتهِ على مقاصدهِ الخيرية وكانت بمنزلة ام للمهذبين في تلك المدرسة كما ان حضرة الرئيس بمنزلة اب لهم وقال واجاد واحكم الحجة والبرهان ان من بعض الادلة الساطعة على فضلها تربيتها مثل ذلك العَلم الشهير والعلاَّمة النحرير ابنها الدكتور هورد بلس. وبعد ان فرغ من هذه الخطبة النفيسة عمد الى ستر التمثال وكشفهُ فاذا تمثال من نقي الرخام على قدر جسم الدكتور دانيال بلس وبمثال هيئتهِ على التمــام فهتف الجمهور العظيم مسرَّةً بذلك التذكار ووقف الرئيس الحالي نائباً عن

المدرسة في قبول ذلك التمثال وحسن الثناء على من اهدوهُ لها ومسك بيد نائبهم الذي ازاح الحجاب عنهُ واعترف لهُ ولهم بالفضل وسموّ العواطف الانسانية . ثم وقف حضرة من هو اشهر من نار على علم في الطب والجراحة والفلسفة والخطابة وحسن البيان الدكتور جورج بوست نائباً عن عمدة المدرسة وهنأ الرئيس الاول وخاطب التمثال بكلام يسيل رقّةً ومعانٍ تسحر العقول . وبعض ذلك ماخلاصتهُ انك ايها التمثال لست سوى قطعة من الرخام لامعنى لك لولا تمثيل ذلك الشيخ الفاضل المحبوب ولكن مع كل ذلك لا تستطيعين ايتها القطعة الرخامية تمثيلهُ الواجب فاين لك حسن ابتسامهِ وحلاوة لسانهِ وقوة جنانهِ وحسن بيانهِ وخالص مودَّتهِ ووافر حكمتهِ وامثال ذلك . ثم وقف حضرة العلاَّمة الفاضل الواعظ الشهير الدكتور هنري جسب نائباً عن المرسلين في سورية وتلا خطبة انكليزية ابهج بها الافئدة . ثم قام جناب الطبيب الحاذق الدكتور اسكندر بك البارودي نائباً عن متخرجي الكليَّة السورية الانجيلية السوريين وتلا قصيدة داليَّة طويلة من نظمهِ المحكم ضمنها تاريخ المدرسة منذ تأسيسها الى ذلك اليوم ومدح الرئيس ومشاهير المدرسين الاولين فيها باسمائهم واحسن البيان نائباً واصيلاً . ثم وقف الرئيس الحالي وقال مامعناهُ ان يقف الحيُّ ويخاطبنا في تمثالهِ الذي لاحياة لهُ . فوقف الدكتور دانيال بلس وهتف لهُ رجال العلم وابناؤُهُ فتكلم بما اخذ بمجامع القلوب

"ومن جملة قولهِ ان هذا التمثال لم يكن سوى صخرة قطعت من جبل ولكن المحبة هندستها وجعلت لها مثالي وعني بتلك المحبة محبة تلاميذهِ في مصر والسودان لان التمثال هديتهم. ثم ترنم الجميع بترنيمة المدرسة الكلية فاطربوا الاسماع وختم الرئيس الاول الاحتفال بالبركة واخذ ذلك الجمهور العظيم يهنئ حضرتهُ"

وسننشر في الجزء التالي رسم التمثال وبعض ما يتصل بنا من الخطب التي تليت حينئذٍ ومتى وردت صورهُ من بيروت تقدم صورة منها الى كل احد من المكتتبين مع خلاصة اعمال اللجنة

صورة مس اقرت

لما اهتمَّ متخرجو المدرسة الكلية باقامة تمثال لرئيسهم على اثر استعفائهِ من رئاسة المدرسة اهتم المتخرجات من مدرسة البنات الاميركية المقيمات في مصر بعمل صورة زيتية للمرحومة اليزا اقرت رئيسة تلك المدرسة فصنعها لهنَّ المصور البارع سليم افندي حداد وبعثنها مع حضرة نسيم افندي بربارِي واحتفل برفع الحجاب عنها في ٤ مايو فتكلم نسيم افندي اولاً بالنيابة عن تلميذاتها وذكر ما للمتوفاة من طيب الذكر وحسن الصفات

والفضل في خدمة العلم والدين والآداب ثم رفع الحجاب عن الصورة وتلاهُ حضرة العالم العامل ابرهيم افندي الحوراني فنشر على المجلس عطر صفات الفقيدة العزيزة وابان ان الانسان الفاضل يحيا على الارض بعد موتهِ بما يتركهُ من حسن الاثر اكثر مما حيي عليها قبلهُ وان تلك الفاضلة المأسوف عليها رُسمت على صفحات الخيال قبل ان رسمتها يد المصور على النسيج وصوّرت على عيون تلميذاتها وقلوبهنَّ قبل ان صورتها الشمس على القرطاس. وفي هذا المعنى خاطب الرسم بقولهِ

يا ايها الرسم ما جدَّدت ذكراها
فانها منذ غابت ما نسيناها
تذكار ذات التقى عمرٌ يطول فلا
تنسى وتحيا كأنَّا ما فقدناها

معرض سنت لويس

انشأت ولاية لويزيانا احدى ولايات اميركا هذا المعرض تذكاراً لابتياع الحكومة الاميركية لتلك الولاية من فرنسا وهو اكبر معرض اقيم حتى الآن من كل وجه فان مساحة الاماكن المسقوفة في معرض الانكليز الذي اقيم سنة ١٨٥١ كانت ٢١ فدانًا وفي معرض باريس الذي اقيم سنة ١٨٦٧ كانت ٢٧ فدانًا وفي معرض فيلادفيا الذي اقيم سنة ١٨٧٦ كانت ٦٥ فدنًا وفي معرض باريس الذي اقيم سنة ١٨٩٩ كانت ٧٥ فدانًا وفي معرض شيكاغو الذي اقيم سنة ١٨٩٣ كانت ٢٠٠ فدان وفي معرض باريس الاخير الذي اقيم سنة ١٩٠٠ كانت ١٢٥ فدانًا. وفي معرض سنت لويس هذا ٢٥٠ فدانًا. ومساحة كل الاراضي التي شغلها معرض باريس الاخير ٣٣٦ فدانًا ومعرض شيكاغو ٦٣٣ فدانًا ومعرض سنت لويس هذا ١٢٤٠ فدانًا. ولا مشاحة في ان الاميركيين افرغوا جهدهم وما وصل اليهِ ارتقاؤُهم العلمي والصناعي في جعل هذا المعرض اعظم من كل المعارض التي تقدمتهُ من كل وجه وقد انفقت عليهِ ولاية لويزيانا عشرة ملايين من الريالات والولايات المتحدة نحو عشرة ملايين اخرى فجملة النفقات العمومية نحو عشرين مليونًا من الريالات او اربعة ملايين من الجنيهات وانفقت الولايات المختلفة على مبانيها الخاصة سبعة ملايين ريال والحكومات الاجنبية سبعة ملايين ونصف والحكومة الاميركية مليونًا وستمئة الف ريال ويقدر كل المال الذي انفق على انشائهِ بعشرة ملايين من الجنيهات.

وفي الثلاثين من شهر مايو اقترب رئيس المعرض من آلة كهربائية وبيدهِ مفتاح فضة صغير وضغط بهِ عليها ليخبر رئيس الولايات المتحدة وهو في وشنطون على ٣٠ ساعة بالاكسبرس من سنت لويس ان كل شيءٍ قد أُعد لفتح المعرض ثم رفع يدهُ نحو السماء وقال بصوت جهوري افتح ايها الرئيس ابواب

المعرض واسمح لبني البشر ان يشاهدوا تقدمنا وترقينا ليفتخر كلٌّ منا بما وصلت اليهِ قدرة الانسان . ولم ينطق بهذه الكلمات حتى تدفَّق الماءُ من قصر الشلالات وفتحت الابواب وانتشرت الرايات الكبيرة فوق قصور المعرض وهي ٢٥٠٠ راية ودوت المدافع وعزفت الموسيقى وتمَّ فتح المعرض رسميًّا وكان ذلك الساعة ١ والدقيقة ٥ بعد الظهر . وبلغ عدد الذين دخلوا ابواب المعرض يوم فتحهِ ١٨٧٧٩٣ نفساً

تاتا محسن الهند

فقدت بلاد الهند المحسن الشهير جمستجي نصرونجي تاتا امير تجار الهند واكبر المحسنين فيها مؤسس البيت التجاري المعروف بتاتا وشركائهِ في بمباي واليابان وهنج كنج وشنغاي ولندن وباريس ونيويورك . وهو الذي ادخل معامل القطن الى بلاد الهند وتربية دود الحرير حسب طريقة اليابانيين واستخراج معادن الحديد من الولايات المتوسطة . قضى السنين ينفق على ادخال زراعة القطن المصري الى الهند وتبريد الاطعمة واوقف مالاً يبلغ ريعهُ السنوي نحو ٨٣٣٣ جنيهاً لينفق على تخريج الطلبة الهنود في مدارس اوروبا ثم انشأ مدرسة المباحث العلمية ووهبها مئتي الف جنيه

ميكروب الدوسنطاريا

قال مكاتب التيمس في كولمبو ان الدكتور كاستلاني اكتشف ميكروب الدوسنطاريا وسيتلو مقالة في هذا الموضوع في المجمع الطبي

المظهر المثبت

في التصوير الشمسي عمليتان مستقلتان الواحدة لاظهار الصورة والثانية لتثبيتها ولا تظهر الصور الاَّ في غرفة مظلمة وهذا يمنع اظهارها اذا صورت خارج البيت او يؤَخرهُ اذا لم يكن مع المصور غرفة مظلمة . وقد استنبط رجل اسمهُ مكردي طريقة لاظهارها وتثبيتها في وقت واحد فلا تحتاج الى غرفة مظلمة وذلك بمزج البيروغولول بكربونات الصودا واستعمالها معاً فالاول يظهر الصورة والثاني يثبتها في وقت واحد

الظواهر الفلكية في يونيو

اوجه القمر

	يوم	ساعة	دقيقه	
الرابع الاخير	٦	٧	٥٣	صباحاً
الهلال	١٣	١١	١١	مساءً
الربع الاول	٢٠	٥	١١	"
البدر	٢٧	١٠	٢٣	"

السيارات

يكون عطارد نجم الصباح الشهر كلهُ

والزهرة والمريخ لا يسهل رصدها

والمشتري يشرق الساعة ١ والدقيقه ٣٠ صباحاً

وزحل يشرق الساعة ١٠ والدقيقه ٣٠ مساءً

الكهربائية وحلب البقر

على مقربة من باريس حقل يسمى حقل الكهربائية لان كل اعمال الزراعة فيهِ تديرها الكهربائية فهي ترفع الماء بالطلمبات وتروي الارض وتنير المنازل وتحضر العلف وتنظف القناني وتحلب البقر. وآلة حلب البقر انكليزية تحلبها بافراغ الهواء وهي تحلب خمسين بقرةً دفعةً واحدةً ويقال ان مقدار اللبن يكون اغزر اذا حلبت بهذه الآلة

دكلو وماراي

كان الشهر الماضي شهر شؤم على العلم في فرنسا ففقد فيهِ الاستاذ دكلو والاستاذ ماراي وهما من اكبر علمائها . اما الاستاذ دكلو فخليفة باستور واكبر مساعديهِ ولد سنة ١٨٤٠ وتفرَّغ لدرس الطبيعيات والكيمياء وانضمَّ الى باستور لما كان باستور يبحث عن اسباب الامراض التي تصيب الكرم ودود الحرير واعطي لقب دكتور في العلوم سنة ١٨٦٥ وجعل استاذًا في مدرسة تور ثم في مدرسة كلرمون واقام هناك مع باستور مدة الحرب وهو الذي علَّم الاستاذ رو وعرَّفهُ بباستور. وانتقل الى مدرسة ليون استاذًا للطبيعيات واقام فيها الى ان نقل الى باريس سنة ١٨٧٨ وجعل استاذًا للكيمياء البيولوجية في مدرسة السربون سنة ١٨٨٦ ولما توفي باستور عين دكلو خلفًا لهُ لكنهُ اقتصر على البحث الميكروبي من حيث علاقتهُ بالصناعة وعلم الحياة ولم يهتم بهِ من حيث علاقتهُ بشفاء الامراض واصيب بالفالج وهو يدافع عن دريفوس ثم عاودتهُ النوبة الآن وقضت عليهِ

اما الاستاذ ماراي فلهُ مكتشفات فسيولوجية كثيرة وقد خلف الاستاذ برنار في مدرسة باريس وهو مستنبط الآلة المعروفة باسم سفيموغراف التي يقاس بها النبض وتعرف بها قوتهُ وسرعتهُ وتغيراتهُ المختلفة . وكانت وفاتهُ في الخامس عشر من مايو

طعام الكهول والشيوخ

كتب الدكتور تيلر مقالة مسهبة في جريدة العلم العام الاميركية بيَّن فيها ان الانسان متى اكتهل وجب عليهِ ان يقلل طعامهُ ويكتفي بالطعام البسيط السهل الهضم اذا اراد ان يعمر عمرًا طويلاً . وخير طعام للشيوخ الخبز واللبن والاثمار وذهب الى ان وقوع الاسنان من فم الشيخ دليل على انهُ لم يعد محتاجاً اليها ويجب عليهِ حينئذٍ ان يعود الى اللبن والاطعمة السائلة كما كان وهو طفل رضيع

الراديوم في انكلترا

قال الاستاذ جوزف طمسن في مقالة تلاها في جميعة كمبردج الفلسفية ان الراديوم وجد الآن في اماكن مختلفة ببلاد الانكليز حتى قال بعضهم ان ارض الخزف ستصير بهِ

اثمن من مناجم الذهب

حقائق الف ليلة وليلة

بين الدكتور الفرد ولص في المجلة المستقلة ان جزاير الواق واق المذكورة في قصة الف ليلة وليلة هي جزائر آرو الى الشمال الغربي من غينيا الجديدة حيث يوجد طائر الفردوس وان بلاد الخيول الطيارة هي بلاد تبت وان كل الغرائب الطبيعية التي ذكرت في القصة بين ملقا وجزائر ارو لها اصل حقيقي بنيت عليهِ

النيل الطبيعي

لما صنع الالمانيون النيل الكيماوي بارت تجارة النيل الهندي الطبيعي ورخص ثمنهُ حتى صار اصحابهُ يخسرون بهِ لبخس ثمنهِ وقد قرأنا الآن في جريدة ناتشر ان تجار حلب وجدوا انهم اذا مزجوا النيل الطبيعي بالنيل الصناعي اجزاء متساوية صار لون مايصبغ بهذا المزيج اجمل وابقى مما يصبغ بالنيل الطبيعي وحدهُ او بالصناعي وحدهُ فعاد الى تجارة النيل الطبيعي بعض رواجها الاول

الكلف والزوابع

قدم الاستاذ اوكو مقالة الى الجمعية السبكتروسكوبية الايطالية بحث فيها عن الزوابع المغنطيسية الكبرى التي حدثت في الثلاثين سنة الاخيرة وبين ان لها كلها علاقة تامة بكلف الشمس وان الزوبعة منها تحدث بعد مرور الكلفة الكبيرة على هاجرة الشمس الوسطى بنحو ٢٦ ساعة ويكون معظم شدتها بعد مرور الكلفة على الهاجرة الوسطى بنحو ٤٥ ساعة ونصف ساعة . ومتوسط الوقت الذي تستمر الزوبعة فيهِ ٣٣ ساعة ثم بحث عن تعليل للزوابع ولعلاقتها بكلف الشمس فوجد ان مذهب ارهنيوس يعللها تماماً. وقد شرحنا هذا المذهب في الصفحة ٣٥٧ من المجلد السابع والعشرين من المقتطف ومفادهُ اندفاع الايون اي الدقائق المكهربة بالكهربائية السلبية وقت ثورانها فتصل الى الارض في ٢٦ ساعة وتحرك الهواء حركة شديدة تسبب الزوبعة

اكبر السكاكين

في معرض سنت لويس سكين طول نصلها ثلاثون قدماً وهو احدٌ من الموسي وقد صنعها الاميركيون ليستدلّ بها على انهم فاقوا غيرهم في عمل السكاكين ونحوها

الفونوغراف في السياحات

كان السيَّاح يعتمدون على ايديهم في تصوير اشكال الناس الذين يشاهدونهم في سياحاتهم وعلى آذانهم في نقل ما يسمعونهُ من لغاتهم ولكن اليد والاذن تخطئان كثيرًا كما لا يخفى فلما اكتشف التصوير الشمسي وصُنع الكودك الذي يحملهُ السائح ويصوّر بهِ كل من شاء في لحظة من الزمان صارت الصور تنقَل منطبقة على الحقيقة . وبقيت اصوات

الناس ولغاتهم تنقل بالسماع الى ان استنبط الفونوغراف فحمل احد السياح الفونسويين فونوغرافاً كبيرًا وضرب بهِ في افريقية ونقل اصوات اهاليها وقطعاً كثيرة من كلامهم وعاد بها الى بلادهِ حتى اذا خطب عنهم ارى السامعين صورهم واسمعهم كلامهم كما هو

الوستروميت

الوستروميت مزيج من الزيت والقطران يدَّعي مخترعهُ انهُ اذا مزج بالماء ورشت بهِ الشوارع والسكك منع خروج الغبار منها . وقد جُرِّب بين نيس وموناكو في سكة طولها ثلاثة اميال . كنست السكة في المساء ورشت في الصباح بماءٍ فيهِ عشرة من الوستروميت اي اضيف مئة لترٍ منهُ الى الف لتر من الماء وبلغت مساحة السكة التي رشت بهِ الف متر مربع . وجفت هذه السكة بعد ساعتين كما تجف لو رشت بالماء وحدهُ . واعيد رشها بهذا المزيج في اليوم التالي ثم تركت عشرة ايام من غير رش مطلقاً وكانت الحرارة شديدة والريح عاصفة والمركبات كثيرة ومع ذلك لم يثر الغبار منها كل هذه المدة فان كان الامر كذلك فشوارع هذه العاصمة احوج الى هذا المزيج من شوارع كل المدن

ويقال ان هذا المزيج لا يضرُّ بالثياب ولا بعجل المركباب وان المطر لا يزيلهُ من الارض ولا تعود الارض توحل اذا وقع عليها المطر . واذا كان مقدار المزيج عشرة في المئة في الرشة الاولى والثانية لم يعد يلزم ان يكون مقدارهُ اكثر من اثنين في المئة في الرشات التالية وترش السكك بهِ حينئذٍ مرة كل اسبوعين . ويكلف رش الكيلو متر من السكة التي عرضها ستة امتار ١٢ جنيهاً في الرشتين الاولين وثمانية جنيهات في بقية السنة فجملة ما يكلفهُ الكيلو متر الواحد في السنة كلها عشرون جنيهاً

الساعة الكبرى

في معرض سنت لويس ساعة لا مثيل لها وما هي الأ حديقة غناء ميناؤُها بساط من الخمائل قطرهُ مئة وعشرون قدماً وعقربها الاطول يدور خمس اقدام كل دقيقة بآلة تحت الارض متعلقة ببناء صغير يمثل سقفهُ السماء بكواكبها وعلى مقربة منهُ بناء آخر فيهِ جرس ثقلهُ سبعون قنطارًا يدق على عدد الساعات فيسمع صوتهُ من كل انحاء المعرض وبناء ثالث فيهِ ساعة رملية كبيرة جدًّا تنقلب من نفسها كل ساعة . والساعة وهذه المباني الثلاثة تنار في الليل بالنور الكهربائي . واعداد الساعات مرسومة على الارض بانواع مختلفة من الازهار والرياحين المختلفة الاشكال والالوان والنبات مزوع ايضاً على العقربين مع انهما من الحديد وثقل عقرب الدقائق ٢٥ قنطارًا مصريًا وطولهُ سبعون قدماً

فهرس الجزء السادس من المجلد التاسع والعشرين

٤٦٥ هذه الحرب ورجالها (مصوَّرة)

٤٧٢ التصوير والجمال (مصوَّرة)

٤٧٥ مدرسة محمد علي الصناعية

٤٨١ هستيريا البصر . للدكتور الياس ابرهيم الصليبي طبيب العيون

٤٨٦ قوانين يوستنيانوس . للاستاذ سعيد الخوري الشرتوني

٤٩٢ اسير يطلب الحرية . حامد

٤٩٧ الياذة هوميروس

٥٠٢ ما احب وما اكره . لجرجي افندي نخله سعد

٥٠٥ الراديوم وتوابعهُ

٥٠٩ مقتطفات من تقرير اللورد كرومر

٥١٥ الدكتور صموئيل صميلس

٥١٦ السر هنري ستنلي

٥٢٧ باب المراسلة والمناظرة * تسهيل صعاب لغة الاعراب . حبذا لو صحت الاحلام . قول الحق

٥٤١ باب تدبير المنزل * نحن وهن . نعيم الحياة وجحيمها . زبدة اللوز . زبدة الكافور . الزبدة التركية . الزبدة الباردة (كلد كريم) . الزبدة الباردة والبورق . نصائح لوقاية العين

٥٤٢ باب الزراعة * المحاريث الزراعية . حشيشة الدينار . الصرف بالمواسير . القطن المصري . ملجأ الزراعة المصرية .

٥٤٣ باب التقريظ والانتقاد * دلائل الاعجاز للجرجاني . الجزء الثاني من ديوان الرافعي . اشهر مشاهير الاسلام . فن الولادة

٥٤٦ باب المسائل * الحركة الدائمة . نمو الشعر . تأثير نور القمر . قوس قزح . مستعمرات الانكليز . تكوُّن الامم . سبب الانتفاض . تاثير الحرب في الشرق . التعريب

٥٥٥ باب الاخبار العلمية * وفيهِ ١٨ نبذة

رواية البوليس السري ملحقة بالمقتطف

الفصل السادس عشر

الهيئة الاجتماعية

ثم اعترض سكوتهما صوت صبيٍ صارخ من خارج : —

— اهلاً بغودارد ! متى رجعت ؟ سمعتُ رئيسي يقول انك ذاهب الى افغانستان . فهل ذلك صحيح ؟ اودُّ الذهاب معك

وكان هذا الصارخ تشارلس مدلتون شقيق كتي فلما دخل اجابهُ غودارد :

— ارجو ان يكون ما سمعتهُ صحيحاً هل في عزمك الدخول في الخدمة العسكرية

— كلاَّ فانَّ والدتي تبكي كلما ذُكِرَت هذه الكلمة " العسكرية " على مسمعها ويشقُّ عليَّ ان اسبب لها ما يبكيها . اين شقيقتي الرعناء . لا تحضر الآَّ عندما لا تمسُّ حاجة اليها . كنتُ بالامس اكلم السيدة دشتون وعندي انها جميلة جدًّا أليس كذلك ؟ اما توفَّقتْ بعد الى الحصول على زوج ؟

— ارفق بها يا تشارلس ولا تضيق عليها بهذا المقدار

— هكذا ينبغي وارى كثيرين يتحاملون عليها . انها امرأة يصعب إدراك دخيلة امرها اما انا فقد عرفتُ خلها وخمرها

قال هذا بمنتهى السذاجة والبساطة لانهُ كان حدثاً غير متجاوز سبعة عشر ربيعاً . فنادتهُ اختهُ من داخل غرفة البليار دو : —

— هلمَّ يا تشارلس الى مليكة قلبك

ثم نادت السيدة دشتون على مسمع اخيها قائلةً والضحك ملء فيها

— تعالي يا ملكة نيسان الى عزيز امهِ

فوثب تشارلس بحدة الغيظ وعدا وراء اختهِ وخرجا كلاهما خارج الغرفة فاستأنفت السيدة ارلنفورد كلامها مع غودارد قائلةً : —

— ما أحلى هذه الفتاة على رغم سلاطة لسانها وكثرة عبثها ومزاحها حقًّا انهُ يشقُّ عليَّ فراقها

— أصحيح انها ستزَفُّ الى دك سافيل

— نعم فاعاني بعدها وحشة لا مزيد عليها لانها موضوع تسليتي في معظم همومي . وستكون حياتي بعدها مرَّةً جدًّا

— مُرَّةً ؟

— أَعني — أَعني — انهُ يصعب عليّ الظفر بصديقة غيرها لاني قليلة المداخلة : —

وكان غودارد يرقبها في اثناء كلامها بعين التأمل والامعان فيرى لون وجهها يروح ويجيء وهي تجهد نفسها في إخفاء امرها وكتم ما تعاني من الأَلم الشديد فاعترض كلامها وقال : —

— يا الس ما المراد بهذا كلهِ ؟ انكِ لستِ كما كنتِ في سابق عهدكِ . فلقد كنا في زمن الحداثة صبيًّا وبنتًا وقضينا وقتًا طويلاً في صداقةٍ نقية طاهرة . وتلك الصداقة باقية فلا تستطيع الايام ان تمحو صورتها الجميلة وذكرها الحسن . ومحبتي لك تُعلن لي اكثر مما اسمعهُ عنكِ وقد لزمتُ جانب الصمت وقتًا كافيًا — اطول مما استطيع الاحتمال — ولا يخفى عليك انهُ بلغتني اخبار ملتبسة متضاربة ولم أُبالِ بها اعتمادًا على انكِ سوف تطلعينني على كل ما يهمني ان اعرفهُ عنكِ . فقولي لي ما هي همومك ؟

— همومي ؟ خلّ عنك الانذار بالخطر

— هذا ليس بجواب . انظري يا الس اني منطلق الليلة ولعلي ابقى غائبًا اشهرًا . ومن الضروري ان اعرف كل شيء قبل سفري فليكن الكلام فيها بيننا الآن على ما يمكن من الوضوح والبيان ولا فائدة من تجاهلك وادّعائك عدم الاحاطة بما يقولهُ الناس عن ارلنفورد . نعم ان العالم ليس دائمًا — او غالبًا — مصيبًا ولكن ما الداعي الى وجود السيدة دشتون هنا ؟ ولِمَ تسمحين لها بالمجيء الى بيتكِ ؟

— انك تجهل جاك ارلنفورد ولذا تسأَلني هذا السؤال فهو يدعو اصدقاءهُ والسيدة دشتون واحدة منهم . فلنتكلم في موضع آخر

— لا لا بل انما نتكلم في هذا الشأن لاني اروم ان اسمع منكِ شيئًا عن تاريخ حياتكِ منذ زواجك . ففي كل رسائلك التي كتبتِها اليّ تجنبتِ الخوض في هذا الموضوع ولم تشيري اليهِ بكلمة وقد بلغني عنهُ شيءٌ كثير من غيركِ واما منكِ فلم اسمع قطُّ شيئًا . وأَرى اني الرجل الوحيد الذي تسوّغ لهُ نسبتهُ اليك أَنْ يكلم زوجكِ

— اراك متهيجًا جدًّا فكيف تكلمهُ وانا لست متشكية من شيء . وما ذا يبعثك على اللجاج في خوض عباب هذا البحث المكدّر . الا تراني راضية مقتنعة ؟

— لما كنتُ في كلكتا سمعتُ باقترانك فتعجبتُ كيف ان والدتك الشديدة التديُّن رضيت بارلنفورد زوجًا لك لأَنّ سيرة ماضيهِ لم تخفَ على احد ووددت لو كنت حينئذٍ في لندن . على انني رجعت بعد ذلك من سفري وزرتك فوجدتك سعيدة . واظنني كنتُ اذ ذاك غبيًّا جدًّا حتى قصرت نظري على الظواهر ولم اغص بعين الانتقاد الى اعماق قلب صديقتي القديمة

— هذا اذا كان لي قلب

— حقًا انكِ صبَّارة واحرص من أن تعاني شكواكِ . ولكن اعلمي ياعزيزتي اني صديق مخلص لكِ على الدوام . فثقي بي واتكلي عليَّ . اتكلي عليَّ الى النهاية

فعبث الاضطراب بشفتي السيدة ارلنفورد ثم وارت وجهها بين يدها وقالت : —

— حتى مَ هذا العذاب ياربي . فقد ظننت اني اقوى قلباً واشد تجلدًا

— اراني سببت لكِ البكاء فهل غظتكِ بشيء ؟

— لا . لا . لستَ انتَ المسبب لست انت . آه لو تعلم كيف كانت حياتي

— اخبريني اذًا أخبريني . لعلكِ تظنين الامر اردأ مما هو في الواقع

— ليس الامر في معرض الظن فلا شيء اردأ من حياتي وامرّ من عيشتي ولم يقدّر الله لمخلوق شقاء نظير شقائي . ولكن رحماك ياغودارد رحماك ! إنسَ — ارجوك ان تنسى ما قلتهُ لك . لايرعك امري . ولقد كنتُ عازمةً على ان اكتمهُ ولا أطلع احدًا على مصيبتي . وليس لي صبرٌ كافٍ يمكنني من عرضها على ما تتخلص بهِ غالبًا من كانت نظيري من النساء — محكمة الطلاق — لاني أرى الموت خيرًا من اطلاع الناس على قصتي

— وهل من يلومكِ اذا فعلتِ هذا ؟

— ربما انت لا تلومني لانك تعرفني وقد عرفتني حق المعرفة في ماضي حياتي لكنك لا تقدر ان تقول للعالم " هوذا فتاةٌ ربتها والدتها الصالحة على الادب والصلاح ونشأتها على نموذج الطهر والعفاف وأشربت قلبها الاخلاص والمحبة والطاعة لزوجها . وقد زُفَّت الى رجل خليع فاسد الاخلاق وهي واثقة كل الثقة بحسن نتيجة هذا الرباط المقدس حتى طفق ظل ثقتها يتقلَّص وأخذت آمالها تخيب واحدًا بعد الآخر اذ لم يكن لهذه الثقة رسم في قلب رجلها" واذا قلتَ هذا سألك العالم " ما هو جرم زوجها ؟ " وطلب اثبات جناية عليهِ تستوجب العقاب الناموسي كأنَّ وجودهُ وحدهُ لم يكن جناية كافيةً . فلعونة انتِ ايتها الهيئة الاجتماعية العالمية الكاذبة التي لا تهتم بسوى المقام فتضحي في سبيلهِ كل غالٍ عزيزٍ وتقبل في عضويتها كل من تشوقها صورتهُ الحاضرة مهما كان تاريخ ماضيهِ . ولا تتعدَّى في فحصها حدود الرُّتب والالقاب ! وكفى مثالاً بالسيدة د . وما انطوت عليهِ مما عميت عنهُ عيون اهل العالم المفتونة بالحسن الخارجي وما اقبحهُ من حسن كاذب

— يامسكينة ! يامسكينة ! فماذا أقولُ لكِ وبمَ أُشير عليكِ ؟

— ليس من مشورة يمكنني قبولها — لاجل ولدي — ابنتي المسكينة الصغيرة التي اقلُّ

حراكٍ أُبديهِ يعود عليها بوخيم العاقبة . اذ لا استطيع ان اجرح الاب من غير ان اجرح الولد معهُ . فلاجلها احتمل . على انَّ مصيبتي توشك ان تشبَّ عن طوق الاحتمال . واذ قد اطلعتك على كل شيءٍ فلا بأس من أن أُطلعك على الضرب الاخير من ضروب الفجور الضارب في بيتي اطنابهُ والرافع فوق زوجي قبابهُ . فمنذ بضعة ايام طلبت قلادتي الدرية فما وجدتها . وفي مساء ذلك اليوم كانت تلك المرأة (املي دشتون) التي استعدَّت للذهاب معنا الى الملعب واقفة امام المرآة ولما ابصرتني داخلةً اسرعت الى نزع شيءٍ من عنقها وهو قلادتي المذكورة

— اتظنينها سرقتها ؟ — كلاَّ بل هو اعطاها اياها

— مهما يكن من خلاعتهِ وسقوط شأنهِ فلا اظنهُ يبلغ هذا الحدَّ من امتهانك

وقد بعثتهما هذه الحادثة على هياج وانفعال وحدة أخذت منهما كلَّ مأخذ فلم يشعرا بالسيدة دشتون التي عند دخولها عليهما حملتها عادة امثالها على نشر اذنيها لاستراق السمع فتقهقرت الى ما وراء الستار وجلست تصغي الى حديثهما فاحاطت علماً بهِ من أولهِ الى آخرهِ : ثم استطردت السيدة ارلنفورد كلامها فقالت : —

— ان امتهاني منهُ يزداد الف ضعفٍ كلما تكلمتُ عنهُ . ولا اعلم كيف استطعت الصبر على وجود هذه المرأة في بيتي . او تزعم اني لشدة تجلدي لا اشعر بما يبديهِ النساءُ والرجال حولي من التهكم والازدراء ولو على سبيل التلميح والاشارة من طرفٍ خفيٍّ ؟ ذلك كلهُ صبرتُ عليهِ الى الآن . ولكن اتت النهاية واذا صحَّ ظني من جهة القلادة —

— نعم . نعم . فكثيرًا ما يعرض للانسان محركٌ فجائي يخرج جهادهُ الطويل من دائرة القوة الى حيز الفعل . فمتى عرض لكِ شيءٌ من هذا فلا تتأخري عن أن تخبريني بهِ اذ ليس من شيءٍ يحول دون تضحيتي كل عزيز في سبيل راحتكِ

وفي تلك اللحظة جاءت كتي مدلتن راكضة في وسط غرفة البلياردو واحاطة بمنكبي املي دشتون صارخة "بوْوه" فأجفلت هذه مرتعدة . وفيما هما داخلتان الى حيث كانت السيدة ارلنفورد وغودارد قالت كتي موردة الجد في معرض الهزل : —

— ان السيدة دشتون كانت تخطف حديثكما من وراء الستار ؟ فاجابتها السيدة ارلنفورد : —

— ما هذا الكلام يا كتي ؟ اليك عن هذا المزاح وارجو ان السيدة دشتون تغتفر لك هذه التهمة الباطلة

— لا بدَّ انها تسامحني وعندي لقاء ذلك قصة شائقة اقصها عليها . فتعالي ايها السيدة املي تعالي هوذا الرجال داخلون

الفصل السابع عشر

لبس القلادة

ثم خرجتا كلتاهما ودخل اللورد ارلنفورد والماجور كرتر اخو املي دشتون والمستر سنسناتوس بركز وهم بين ضحك ومسامرة فقال اللورد ارلنفورد :—

— اهلاً بغودارد . لقد ساءَني طول انتظارك لنا

ثم قضى واجب التعارف بينهُ وبين الماجور كرتر والمستر بركز وعاد الى مخاطبتهِ فقال : —

— يود المستر بركز ان يطارحك عن برلين بعض أسئلةٍ لم اقدر ان اجيبهُ عليها . اما انت فقادر . انهُ مغرم جدًّا بالوقوف على شؤُون اوروبا وقد قلتُ لهُ انك الرجل الوحيد الذي يستطيع ان يجيب سؤَلهُ من هذا القبيل

— بكل سرور . اظنني اعرف لك اخًا ايها المستر بركز كان مصوّرًا في ليبسك واسمهُ هوراس فيما اظن . الست مصيبًا ؟

— بلى . وكثيرًا ما حدثني عنك . وقد أصحبني كتاب تعرفٍ بك . ولكن غيابك عن لندن حال دون انتفاعي بهِ

— لا استطيع الآن ان اعرض نفسي للقيام بخدمتك لاني لسوء الحظ مضطرٌ ان ابرح لندن هذه الليلة لداعٍ مهم جدًّا . وارجو اني اعود بعد اسبوعين . اما الآن فتعالَ اطلعني على ما تروم الوقوف عليهِ

— شكرًا لمعروفك . سافعل هذا

ثم عرض لهُ ما شغلهُ قليلاً بمحادثة السيدة الس فالتفت زوجها اللورد ارلنفورد الى غودارد وقال : —

— علمت انك مسافر هذه الليلة . فماذا عسى ان تكون نهاية هذه الاحوال الطارئة الشاغلة نظارة الخارجية والمتوجهة اليها افكار الناس عمومًا ؟ اخبرتني السيدة دشتون انك تعرفها منذ ما كانت في الهند

— نعم والسواد الاعظم ممن هم نظيرنا قادرون ان يدعوا هذا الشرف ولم يدر في خلدي اني اجتمع بها هنا — في بيت وجدتها فيهِ بمقام ربتهِ

وقد نطق بهذه الكلمات بمزيد الحنق والشدة. ثم اعرض عنهُ واخذ يحادث تشارلس مدلتون الذي كان قد دخل مع المستر بركز . اما ارلنفورد فتأثرهُ بنظرهِ وقال هامسًا :

— سوف اجزيك على هذا الكلام ايها الجرو

واذ ذاك دخلت السيدة دشتون ومن نظرها في وجه ارلنفورد وملاحظتها حركة شفتيهِ ادركت كنه ما نطق بهِ فدنت منهُ ولوائح النزغ بادية على وجهها وقالت : —

— بخ . بخ ! انتهرك حبيب زوجتك ايها الساقط . حقًا ان حب غودارد لالس يفوق الوصف اليس كذلك ؟

خلي الآن عنك هذا التشفي وقولي لي ماذا اجابك سكولوف ؟ هل يستطيع ان يعطينا المبلغ المطلوب ؟ — نعم

— ما ذا يريد مقابل ذلك ؟ — اكثر مما اقدر ان افعل

— صه ! لابدَّ من ان تفعلي ما يريد . لانَّ حاجتي الى المال تفوق الوصف

— يريد أن يعاق غودارد عن السفر هذه الليلة فما رأيك

— وهل هذا ممكنٌ

— عندي وسيلة لذلك بشرط أن توافقني عليها

— إن ! بشرط ! تقولين هذا وانتِ عالمة بشدة احتياجي الى المال والآ —

— اذًا دعني البس القلادة فانها معي

— القلادة ؟ لماذا ؟ كيف ؟ لا — ليس هذا

— اذا تولَّ انت سدَّ خرقك

— مهلاً يا املي لاتغتاظي

— وانت تعقَّل ولا تكن غبيًّا

— سأُجيبكِ بعد عشر دقائق

ثم خرج الى غرفة البلياردو . اما هي فقالت في نفسها : —

— لقد حان وقت التشفي والانتقام وانتِ يا ألس ماذا قلتِ ؟ قلت ان صبركِ يفرغ اذا تحقَّق ظنك من جهة القلادة فلسوف نرى . وانت ايها القائد غودارد ستغتنم فرصة القيام بوعدك لها

ثم نهضت من مكانها وجاءت الى حيث كان الباقون جالسين قرب النار وكانت كيتي آخذة في سرد ما سمعتهُ من السيدة دشتون عن الشيطانة الجميلة فقالت :

— من يعرف هذه المرأة العجيبة ؟

فاجاب الماجور كرتر : — كانا نعرفها بالسماع نظرًا لاتساع نطاق شهرتها . فقال المستر

بركز : — كلكم ما عداني

فاجابهُ كرتر : — لم اتوقع اني أجد من لم يسمع بها بعد . وحقًّا ان تاريخ اعمالها يؤلف كتاب "الف ليلة وليلة" آخر . ومن العجب انها باقية مجهولة عندك . فليس من امرأة ذائعة الشهرة نظيرها .

— هل نظرتها ؟

— كلاَّ . واظنها لا تقبل من يأتيها لمجرد الزيارة العادية فهي دائمًا مشغولة بالمسائل السياسية وقلما تخطىء حالها

فقالت املي دشتون : — لكن اكثر الاخبار المروية عنها غير صحيحة لاني اعرفها حق المعرفة . فليس لها شبيه في الهشاشة الى اصطناع المعروف وفعل الخير حتى انها اصبحت ملاذ كل من عضهُ الفقر واخنى عليهِ الدهر .

وفيما هي تتكلم دخل ارلنفورد يصحبهُ البرنس سكولوف فجلسا منفردين في ناحية من تلك الغرفة الفسيحة واستأنف المستر بركز كلامهُ فقال : —

— لا بد ان تكون غنية جدًّا حتى يمكنها ان تعيش على هذا الاسلوب

فقالت السيدة دشتون : — انها لكذلك . لكننا بهذا الحديث نزعج السيدة ارلنفورد . اظنك لا تهتمين بسيرة من تلذ اخبارهم للسمع نظير الشيطانة الجميلة

— نعم ولا سيما اذا كانوا غير مشهودٍ لهم بحسن الصيت

فقالت املي : — ما رأيك ايها القائد غودارد في الشيطانة الجميلة ؟

— ان شعوري نحوها يتنازعهُ الحنو والحزن لانها امرأة والمرأة التي تقدم على مصادمة العالم لا بد ان تكون اخيرًا هي الخاسرة

فقال البرنس سكولوف بعد ما عرفتهُ السيدة ارلنفورد بالقائد غودارد : — وازيد على كلامك ايها القائد ان اشياء كثيرة قيلت عنها وكتبت بشأنها . فهي قاسية جدًّا في بغضها قدر ما هي لينة في حنوها ومحبتها . فحياتها حياة انتقام - انتقام نشأ عن خطإٍ ارتكبتهُ

فسأل بركز : — وما هو اسمها الحقيقي ؟

فاجاب كرتر : — لا احد يعرف

فاعترضت املي قائلة : — او بالحري ليس من يعرف ويقول

فقال سكولوف : — من عادتها ان لا تطلع احدًا على ما تروم اعلانهُ او كتمهُ

ثم التفت الى غودارد وقال : — قد جئت الان من عند الدوك حيث سمعت عن امكان

ترقيتك بواسطة الجنرال سافيل فاقبل تهنئتي مقدمًا .

— بمزيد الشكر والثناء

— هل لك ان تزورني غدًا ؟ — اني بارحٌ لندن الليلة

— زرني اذا بعد رجوعك هنا او في برلين حيث اكون بعد اسبوع فاعرفك بالشيطانة الجميلة

وعاد غودارد للاشتراك في محادثة الآخرين فاتبعهُ سكولوف نظرهُ وقال في نفسهِ : — اظنك لا تسافر

ثم اخرج رسالة برقية من جيبهِ وقرأ فيها ما يأتي :— "ان الرسائل التي يحملها غودارد تتضمن القرارات الاخيرة فعاقتها ضرورية جدًا . والتفصيل مع رسول خصوصي."

فقال : — حقًا ان الحياة مجهولة فما اصدق القول " ما مضى فات والمؤمل غيب " فهذا القائد يظنُ انهُ يسافر هذه الليلة وانا اتوقع عاقتهُ عن السفر . فمن منا يكون مصيبًا ؟ لا اعلم .

ثم جلس بجانب مائدة صغيرة اخذ عنها مجموع صور وشرع يلهي نفسهُ في الاطلاع عليها .

واذا بتشارلس مدلتون نادى املي دشتون التي كانت مشغولة بمحادثة ارلنفورد قائلاً

— وعدتني انك تلعبين امامي لعبة في البلياردو فتعالي الآن بينما الباقون مشغولون عنك وانجزي وعدكِ لي فنزيل الكدر بضرب الأكر

فنهضت وسألت ارلنفورد : — اتسمح لي بالذهاب مع هذا الصبي ؟

فقال " طوباهُ ياليتني اياهُ طوباهُ " ثم قبض يدها وضغطها . فلم يفت عملهُ هذا نظر امرأتهِ وكانت اذ ذاك ملتفتة نحوهُ . ولاحظ غودارد سرعة تغيُّر لونها فتبع جهة نظرها فادرك السبب . اما ارلنفورد فسار الى حيث كان سكولوف وقال لهُ : —

— هل استهجنت فعلي ايها البرنس — كلاَّ البتة

وحينئذٍ انقطع ارلنفورد للتأمل في طلب املي من جهة لبس القلادة فقال في نفسهِ : — ماذا عسى ان تريد بلبسها ؟ أمرادها ان غودارد يراها ويضطران يتعرَّض لقاوسة وقاحتها هذه فيفعل ما يسبب لهُ التأخر عن السفر ؟ اظنها مصيبة في رأيها حسب عادتها . وسوف نرى سوف نرى

فقالت الس لغودارد : — سأترك بعد سفرك لرحمة هذه الضارية

— اصبري ولا تقنطي . تظاهري بعدم الاكتراث والاهتمام وهذا اعظم ثأرٍ واشد انتقام

فنهضت كتي مدلتون وقالت :— تعالوا معي وانظروا . اني ذاهبة لأحول دون لعبهما . وسأريكم كيف تعلم السيدة دشتون اخي تشارلس لعب البلياردو . انها لعبة حسنة ؟ ؟اصغوا فما من صوت لضرب الاكر ؟